

قصص

العصبي

أحمد رمضان

دار للنشر والتوزيع

العصبي

(مجموعة قصصية)

احمد رمضان

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلي

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس
أو تقليد أو إعادة طبع - دون موافقة
كتابية - يعرض صاحبه للمساءلة
القانونية

الكتاب:

العصبي

المؤلف:

أحمد رمضان

* * *

الغلاف:

محمد محمود

* * *

الإشراف العام:

محمد سامي

احمد رمضان

العصبي

دار ليل
كيان كورب
لنشر والتوزيع

ورقة

أجتاز الطفل الشارع رغم السيارات العابرة بسرعة .. حمل بضاعته الرخيصة على ظهره و بدأ يطرق نوافذ السيارات منادياً عليها .. رmqه بعض أصحاب السيارات بلا مبالاة .. والبعض بأستنكار أحياناً خاصة عندما يواصل الطرق على النوافذ بالحاح .. تلقى كلمات السباب من بعض السائقين و قابلها بأبتسامة بلهاء .. أنتقل إلى شارع آخر .. لساعات ظل يتنقل و يدور بين السيارات .. تملكه التعب قليلاً فأتجه إلى الرصيف .. جلس عليه يستريح لبرهة و يستعيد أنفاسه اللاهثة .. رمى بضاعته بجانبه و أحصى نقوده القليلة .. رفع عينيه للشمس التي تحرقه بحرارتها .. تلفت حوله بحثاً عن شئ يستظل به .. لم يجد سوى صفحة شبه ممزقة .. صفحة من جريدة قديمة حملها الهواء حتى أستقرت على بعد خطوات منه .. ألثقتها و طواها على رأسه .. نظر للشارع منتظراً أغلاق الأشارة الضوئية حتى ينطلق مرة أخرى .. مسح بضع قطرات من العرق بطرف قميصه المتسخ .. هبت نسمة من الريح أطارت الصفحة من قبضة يده الضعيفة .. ألثقتها مرة أخرى

قبل أن تطير بعيداً .. وقبل أن يضعها على رأسه مرة أخرى لمح صورة فيها .. بسط الصفحة أمامه قليلاً .. صورة عائلة صغيرة .. أب و أم يحتضنان أبنائهما بسعادة .. لم يدرك أنه أعلن .. لم يكن يجيد القراءة و الكتابة على أى حال .. كل ما لفت نظره تلك الأبتسامة التي تضى وجه كل واحد منهم و قد لفت الأم بيدها على الأبناء من جهة .. و الأب من جهة أخرى .. سرح قليلاً مع الصورة .. أرتسمت على وجهه بلا وعى أبتسامة صغيرة قتلتها أشعة الشمس الحارقة .. أنتبه فأحكم وضع الصفحة فوق رأسه مرة أخرى .. شرد بعيداً و تساءل في حيرة .. لماذا يبتسم الأبناء في الصورة بهذا الشكل .. ربما سببه الأحساس الأمان .. ذلك الأحساس الذي لم يعرفه منذ هرب من الملجأ لقسوة المعاملة هناك .. وقبلها لم يعرف معنى العائلة .. ألتقطوه صغيراً من أحد الحقول المهجورة و لم يستدلوا على أهله .. هكذا أخبروه في الملجأ .. عندما يسمع أحداً يتكلم عن العائلة يشعر بشئ غامض .. ربما لأنه لم يعرف يوماً معنى تلك الكلمة أو يدرك قيمتها .. حرص كثيراً على أن يعرف معناها لكنه فشل .. منذ هرب من الملجأ لعب عدة مرات في الشارع مع أطفال في مثل عمره .. بعضهم يمنعه من اللعب معهم بتأفف ، و البعض يقبلوه بلا أهتمام .. عندما يرى كل واحد منهم يتكلم عن عائلته يلتقط أحاديثهم بتركيز وأهتمام .. لم يستطع أن يكون صورة واضحة رغم ذلك .. و

لكنه يشعر أنهم يتكلمون عنها بلهجة تحمل كثيراً من الشعور بالأمان و
الدفع .. الشعور الذي أفقده دوماً

أنتبه على صوت فرملة سيارة .. أغلقت الإشارة الضوئية الآن .. ألتقط
بضاعته التي وضعها على الرصيف بجواره .. نحى الورقة جانباً .. أنطلق
بسرعة يسابق الزمن ليعرض بضاعته لأصحاب السيارات المنتظرة .. ألتقطت
عيناه أحد السيارات على الجانب البعيد تبدو فارحه .. تقودها امرأة
بجوارها طفل ربما تعطف عليه و تعطيه بعض النقود .. أنطلق يقصدها .. لم
ينتبه أن سيارة أخرى تأتي بسرعة رغم توقف الإشارة .. لم يشعر سوى
بلفحة قوية من الهواء ترتطم بوجهه .. فرمل صاحب السيارة فوراً بمجرد
أن عبر الطفل أمامه .. و تجمد هو في مكانه و هو يرى الجسم المعدنى المنطلق
بسرعة نحوه .. قبل أن يغمض عينيه حتى لا يرى يد الموت الممتدة نحوه ،
صدمته السيارة بقسوة

توقفت الحركة في الشارع .. نزل صاحب السيارة فوراً و هو ينهال
بالشتائم على الطفل الذي عبر أمامه فجأه .. تجمع المارة حول كتلة اللحم و
الدم الجديدة الملقاة على الطريق .. الطفل ممدد على ظهره تنساب منه بركة
دماء تزداد تدريجياً .. بيده ما زال يقبض على كيس ممزق يحمل فيه
بضاعته التي تناثرت محتوياتها بعيداً .. أسرع شخص ما يخترق الجمع

بصعوبة صائحاً بالناس أنه طبيب .. ما زالت قدما الطفل تنتفضان بشكل
طفيف بينما سكن باقى جسده تقريباً .. لحظات كشف عليه الطبيب كانت
انتفاضة قديميه قد هدأت تماماً و سكن جسده بينما عيناه لا زالتا مفتوحتان
تتطلعان بشروء إلى نقطة ما بعيدة غير مرئية .. هز الطبيب رأسه بأسف ..
دارى البعض أعينهم ، بينما تناثرت همهمات أسف بين المارين المتوقفين ..
ألقى أحد المارة نظرة على الجثة الحديثة مفتوحة العينين .. بحث في المكان
عن شئ يغطيها به .. أختفى لثوان ثم عاد .. تقدم مخترقاً الحشود .. غطى
وجهه بورقة من صحيفة لم يجد غيرها بعد أن سبل عينيه برفق .. أمتصت
الورقة دماء الطفل فوراً .. ورقة من صحيفة قديمة لم يلاحظ أن على ظهرها
ترسم بوضوح .. صورة عائلة صغيرة تبتسم بدفء

معلن

أندفع في براءة ليلعب مع أبن الجيران .. لم يخجل سعيد من ملابسه القديمة أو حذائه الممزق بينما يرتدى الأولاد أفضل ملابسهم في العيد .. لم يكن في سن تسمح له بأدراك الفرق بين الغنى و الفقر .. أو تمييز وجود مسافات تفصل بينهما .. وربما لهذا السبب لم يخجل .. وقف مع نبيل أبن الجيران الذي عاد والده للتو من الخليج محملاً بلعب كثيرة و دراجة جديدة .. تباهى نبيل وسط أقرانه بالعيدية الكبيرة التي تحصل عليها من والده .. لم يحقد سعيد عليه .. صحيح أنه تمنى بشدة أن تكون له لعب كثيرة مثل لعبه .. و لكن قلبه البكر لم يعرف معنى الحقد عليه .. أعجبتة الدراجة الصغيرة بألوانها الزاهية فلم يطلب من صديقه سوى أن يسمح له بركوب دراجته قليلاً .. نظر إليه نبيل بأشمزاز .. رفض طلبه بغضب .. أقترب منه سعيد مرة أخرى ليتوسل إليه مكرراً طلبه .. و لكنه دفعه بقوة جعلته يسقط على الأرض .. في تلك اللحظة دلف والد سعيد إلى الحارة .. عاد للتو مرهقاً من عمله كعامل سكة حديد رغم أجارة العيد التي يتمتع بها كل

الناس .. لمح أبنه على الأرض .. أندفع إليه .. ساعده على النهوض .. كف الأطفال عن السخرية منه عندما رأوا أبيه و أن لم يكفوا عن التطلع نحوه بأستهزاء .. سار به بعيداً .. ربت على كتفه بحنان .. نظر إليه في عينيه و قال له مشجعاً " معلش .. بكرة تبقى أحسن منهم "

رنت كلمات أبيه في أذنيه .. ظل يتذكرها طويلاً .. سنوات عدة مرت عليه بعدها توفي فيها والده .. أجتهد سعيد في دراسته .. تخرج من كليته ليواجه حياة قاسية .. عمل بكل المهن الممكنة لشاب في سنه .. لم ترأف به الحياة و أدارت له وجهها القاسى .. تنقل بين الوظائف لا يكاد يستقر في أى منها .. يعمل كبائع .. محاسب في محل صغير .. عامل في مصنع .. يعمل في أكثر من وظيفة أحياناً .. يجتهد ليحقق ما يحلم به .. يسهر كثيراً .. و يتعب كثيراً .. سنوات و كل ما يجنيه ليس إلا القليل .. مع الأيام ينحل جسده و لكن عزمته تزداد صلابة ، ومعها ثقته بنفسه .. يجمع كل ما يكسبه .. يبدأ مشروعاً صغيراً مع بعض أصدقائه .. لم يلبث أن يفشل ليخسر معظم مدخراته البسيطة .. لا ييأس .. يمنحه القدر فرصة سفر للخارج أهداها له صديقه فؤاد الذي تحصل عليها و لكنه فضل عدم السفر لظروف أسرية .. يسافر سعيد .. تمر عليه سنوات الغربة ثقيلة .. يرجع بعد عدة سنوات بجسد معتل ، و مبلغ من المال يبدأ به مشروعاً آخر .. يتعلم من

تجربته الأولى .. يصير تلك المرة على النجاح ، لن يتحمل عواقب خسارة أخرى .. يتعب حتى يدفع تجارته نحو الاستقرار .. يخضع لفترة لتقلبات السوق فترتفع به أحياناً ، و تهوى به إلى القاع أحياناً أخرى .. ولكنه يغامر بكل طاقته و ما يملكه .. تمر عليه فترات طويلة صعبة ، يزحف اليأس إليه أكثر من مرة و لكنه يقاوم .. لا يريد تذوق مرارة الفشل مجدداً ، و لن يمكنه الصمود أمام تجربة محبطة أخرى .. شهور تواترت عليه ببطء قبل أن يرى تجارته تزدهر .. تعلم أن يحافظ على كل قرش يجنيه ليعود فيستثمره مرة أخرى في تجارته لتنمو أكبر .. و ينمو أسمه معها .. يقضى يومه بالكامل في العمل لا يعرف معنى الراحة و لا يتذوق لذتها .. يمنح عمله عمره و وقته بلا حساب .. تبتسم له الحياة أخيراً .. تستقر تجارته بعد طول تعثر .. و يبدأ في جنى أولى ثمار عمله .. و لأول مرة بعد سنوات مريرة من العمل بلا كلل أو توقف .. ينتابه شعور بالأمان لم يختبره من قبل ..

ينظر لوجهه يوماً في المرآة .. هاله الشعر الأبيض الذي يزحف على رأسه .. مرت الأيام بشكل أسرع من حساباته .. لم يدرك أن عمره يقترب من الأربعين .. لم يفكر يوماً في الزواج .. فحياته بأكملها كانت لتجارته .. خطب مرة واحدة بمجرد أن عاد من السفر.. و لكنها فشلت سريعاً .. ربما لأنه لم يحاول جدياً تغيير نمط حياته المضطرب .. يخرج في الصباح الباكر و

لا يعود من عمله إلا عند منتصف الليل .. أتهمته خطيئته بالأنانية و
البخل .. لم يكن أنانياً و لكن قسوة السوق أستنزفت مشاعره ، و كل مليم كان
يكسبه ظل يوفره خوفاً من تقلبات السوق على تجارته الهشة قبل أن
تستقر .. أنتبه بعد أن أبتسمت له الدنيا أخيراً .. لا تعجبه فكرة أن يقضى
ما تبقى من عمره وحيداً .. بلا طفل حتى يرثه .. بدأ جدياً في البحث عن
زوجة تشاركه مصيره .. طال بحثه حتى أهتدى أخيراً لمن أرتاح لها قلبه ..
أبتاع بيتاً كبيراً في الحارة التي شهدت أيام فقره .. اشترى أفضل الأثاث ، و
أقام حفل زفاف تكلم عنه الناس كثيراً .. تزوج و لم يعد ينقصه سوى ولى
العهد الذي يحمل أسمه ، و يرث تجارته بعد عمر يتمنى أن يكفى ليراه
شاباً يافعاً أمامه .. تنقضى الأيام سريعاً .. جميلة و لكن بدون أى بوادر لقدوم
طفله المرتقب .. ينتقل بين كثير من الأطباء بلا فائدة .. يجمع الأطباء على
أنه لا يوجد عيب منه أو من زوجته يمنعهما من الأنجاب .. ينصحونه
بالصبر .. لم يعد يحب تلك الكلمة .. يريد أن يلغيها من قاموس حياته
للأبد .. عامان يمران و الصبر يتجرعه كدواء مر .. لأول مرة في حياته
يندم .. تمنى لو تزوج مبكراً .. أخيراً تظهر بوادر الحمل عند زوجته ..
يطير من الفرح .. يترك عمله كثيراً و يسهر بجانبها لرعايتها .. يراقب
بطنها و هى تكبر ببطء يوماً عن يوم .. يحصى الأيام و يعد الدقائق لقدوم

أبنه .. و تلد زوجته .. يحمل أبنه و هو يبكى فرحاً .. يحتضنه و شعور خاص يجتاحه لم يتذوقه من قبل .. يراقبه يكبر يوماً بعد يوم بشغف .. يتابع كل تفاصيل حياته مهما كانت صغيرة بلهفة .. يعود من عمله مبكراً أحياناً فقط ليقضى وقتاً أطول معه ، و لا يكاد يفترق عنه طوال فترة تواجده في المنزل .. ينمو الولد أمامه و هو يرقبه بسعادة .. تعهد أن لا يبخل عليه بأى شئ .. يأتي إليه بكل ما يتمناه .. لا يريد أن يتذوق كأس الحرمان التي تجرّعها صغيراً .. يكبر الولد ليبداً اللهو مع أقرانه في الحارة .. يضايقه قليلاً الأمر .. لا يرغب أن يختلط أبنه بأطفال الحارة الفقراء .. يفكر في تغيير بيته و الانتقال إلى مكان آخر ليوفر بيئة أفضل لطفله .. و لكن زوجته تعارض قراره ، فهي ترغب أن تبقى بجوار أهلها .. يؤجل مرغماً الفكرة لوقت آخر..

يرجع من عمله يوماً مرهقاً .. أبنه يلعب مع أطفال الحارة .. يسمح لهم باستخدام لعبه التي اشتراها له .. تبهرهم لعبه الجديدة التي لا يمتلكون مثلها .. يقف لتحية أحد أصدقائه بمقربة من أبنه .. ينشغل بالحديث معه .. بعد قليل يصل إلى سمعه صراخ أبنه العالى .. يهرع إليه على الفور و قلبه يرتجف .. أحد أطفال الحارة كسر له لعبته المفضلة و هو يلهو بها .. و أبنه يصيح به بغضب .. يتجه للطفل الذي تسمر في مكانه خائفاً و بيده

اللعبة التي كسرها بدون قصد .. ينظر للملابسه المتسخة .. ينهره بعنف و هو
يربت على كتف أبنه بحنان .. يطرق الطفل للأرض بخجل و جسده الضئيل
يرتجف .. لا ينتبه سعيد لقدوم والد الطفل .. لم يكن سوى فؤاد صديقه
القديم .. أعز أصدقائه الذي فضله على نفسه و منحه فرصة للسفر .. الدنيا لم
تبتسم له كما فعلت مع سعيد .. يترك مكانه البسيط على ناصية الحارة و
يهرع ليشهد الموقف .. أبن فؤاد ما زال في مكانه لم يتزحزح و قد بدأت
الدموع تفلت من عينيه قهراً .. ينظر فؤاد بدهشة لصديقه القديم الذي وشت
ملامحه بغضب تام .. يدنو من أبنه و هو ما زال ينظر إليه بعدم تصديق .. لم
يعد يعرفه .. تغير كثيراً فلم يعد يميز صديق عمره القديم .. يحتضن أبنه
الخائف .. يتألم و هو يرى دموعه التي أنسابت رغماً عنه .. يبتعد به و هو
يشعر بمرارة في حلقه .. بينما مازال الأطفال يواصلون همساً السخرية منه ..
يربت على كتفه بحنان بالغ .. يميل عليه مشفقاً .. يهمس في أذنه برفق و
هو يحتضنه " مازعلش يا حبيبي .. معلش .. بكرة أن شاء الله هتبقى أحسن
منهم "

الساقية المهجورة

كانت الشمس قد بدأت تغادر المكان تاركه مكانها للظلام الذي نشر
خيوطه على الطريق الترابي الممتد ما بين القرية الهادئة و الحقول البعيدة
عنها.

أسرع حمدان في الركوب عائداً إلى قريته بعد يوم طويل مرهق .. أضطر
للبقاء في أرضه لفترة أطول على غير المألوف .. لم يعتاد الرجوع في الظلام .. و
لكن للضرورة أحكام .. أنتهى متأخراً من رى أرضه بعد عطب طارئ أصاب
ماكينة الرى الوحيدة لديه .. أستمر الهواء القوى يعصف بجسده النحيل و
هو يستعد للمغادرة .. ربط بهائمه و أمتطى حماره و أسرع بطريق العودة ..
لاحق القرية من بعيد كأحجار نرد قديمة متراصة بلا نظام .. طالما تمنى أن
تكون له أرض بجوار بيته فيرتاح من مشقة الطريق .. و لكن حلمه ظل
حبيس الخيال لا يرى النور كعادة كل أحلامه .. تنهد بأسف .. و لكز
حماره بقوة

بدأ قرص الشمس في التهاوى و حمدان يخطو أولى خطواته على

الطريق .. بانث الأشجار و هامات النخيل كأشباح غاضبة تحركها الرياح
القوية التي هبت على المكان .. كانت الرؤية صعبة بعد أن ملأ غبار خفيف
الجو .. ولكنه لم يهتم .. حماره يحفظ الطريق على أى حال .. كل ما يفكر
فيه وجبة ساخنة و كوب من الشاى عندما يعود يزيح بهما تعب اليوم .. و
الأهم أن يحتفى داخل دفء بيته من تلك البرودة التي تميز الشتاء .. أنطلق
يشتم حماره الذي يسير ببطء و هو يبحث عن العشب في جوانب الطريق ..
يستحثه على أن يزيد من سرعته .. و كلما أقترب من الساقية المهجورة ..
كلما زاد خفقان قلبه .. ذلك المكان الذي يخشى الجميع المرور به ليلاً ..
حيث تتناثر الكثير من الحكايات على ألسنة أهل القرية عن أشباح و غفاريث
تظهر فيه .. أحياناً تخطف المارة .. و أحياناً تؤذيهم فقط .. يقال أن امرأة
أتفقت مع حبيبها على الهرب و تواعدا على اللقاء عند الساقية .. أنتظرتة
هناك ولكن أهلها علموا بالأمر .. لحقوا بها و قتلوها.. و من يومها لم تدر
الساقية مرة أخرى .. حكى له عمر ابن عمه ذات مرة كيف كان يمر عبر هذا
الطريق ليلاً عندما سمع طنين غريب و لدغته حشرة لم يرى مثلها من قبل ..
لدغة قوية لدرجة أنها آلمته لعدة أيام .. لا يزال يتذكر كلامه جيداً .. و
يتذكر عندما أختفى عطية الذي ذهب قبيل الفجر ليسقى حقله قبل الناس و
لكنه لم يرجع .. هنا عثروا على فأسه بجوار الساقية .. صحيح أن ملابسه

وجدوها في الحقل ، وربما يكون الفأس قد وقع منه في الطريق .. و المرجح أن عطيه قتله وقتها بعض قطاع الطرق ممن أنتشر شرهم في تلك الفترة و أخفوا جثته .. و لكن الأشاعات تؤكد على أن أشباح هذا المكان هى السبب .. و أشاعات أخرى عن فلاحين مروا بهذا المكان .. بعضهم يسمع أصوات امرأة تبكى .. و آخرين يحكون عن أضواء خافتة تنبعث من الساقية ليلاً .. بل أن بعضهم كان ينزف دماً عندما يقترب ليلاً من المكان .. و لكن معظم تلك الحكايات تبدو قديمة مر عليها وقت طويل لا يعلم مداه .. فأمه كانت تنقلها له عندما كان ما زال صغيراً.. و تبدو كتراث خاص يتناقله أناس قريته.

تلقت حوله بحذر و هو يقترب من الساقية المهجورة .. الهواء القوي بدأ يخمد ولا يسمع سوى صوت عبث الرياح الخفيف بفروع الأشجار .. أسرع الخطى و قد بدأت رعشة تسرى في جسمه لا يدري أهى من البرد أم من الخوف .. أو لعله تعب اليوم .. لعن أصدقائه .. لماذا لم ينتظروه مثل كل يوم ليتوجهوا معاً إلى القرية .. يتخيلهم الآن في بيوتهم يستمتعون بالدفء ، أو لعلمهم يتسامرون في مقهى القرية الوحيد و هم يلعبون النرد .. لعن صديقه سعد بالأخص الذي وعده أن يمر عليه عند انتهاء اليوم ليعودا معاً و لكنه أخلف وعده .. كان يرى الآن الساقية القديمة بوضوح و بدت مخيفة و أشد كآبة بالنسبة له .. حاول أن يتذكر أى شئ يسعده .. طفت صور قليلة في

خياله قبل أن تستقر أخيراً على صورة حبيبته سعاد .. تذكر أبتسامتها
المرحة التي غزت قلبه من أول لحظة رآها .. و لقاءتهما المحدودة المتعة
عندما تذهب إلى الحقل لوالدها تحمل الطعام إليه .. لم ينسى يوم تقدم
لخطبتها .. كيف كانت مرتبكة لدرجة أنها سكبت المشروب الساخن عليه و
هي تقدمه .. أبتسم رغم أرادته .. شهرين فقط و يتم زفافهما .. نسي
للحظات الطريق و ترك نفسه بأستسلام سابحاً مع تيار أحلامه .. بينما
حماره ينهب الطريق ببغاء

فجأة توقف الحمار مكانه .. أفاق من أحلامه .. لم يدر لما توقف .. لكزه
في بطنه بعنف .. عاود الحمار المشى لخطوات قليلة قبل أن يتوقف مرة
أخرى .. أطال بصره في المكان يحاول اختراق الظلام الذي أحاط به .. و لكنه
لم يبصر شيئاً .. ربما لمح الحمار ثعباناً أو عقرباً .. ترجل عن حماره .. دار
ببصره مرة أخرى في المكان بتمعن دون أن يكتشف أثر لجديد .. أصاغ سمعه
فلم يتناهى إليه سوى صوت حفيف أغصان الأشجار و هي تحركها الرياح ..
أمتطى الحمار مرة أخرى و هو يسب و يلعن .. أهوى بالعصا على جسمه ..
نهق الحمار بقوة و سار بخطوات ثقيلة إلى الأمام .. هبت نسمة هواء و معها
دوى في أذن الرجل صوت عواء .. أنقبض قلب حمدان تماماً .. أ يكون ذنباً ..
أل هذا وقف الحمار .. و لكن المنطقة هنا ليس بها ذئاب .. لحظات من

السكون مرت بثقل عليه ثم دوى نفس الصوت مرة أخرى و لكن هذه المرة أقرب .. أنتفض الحمار و صاحبه .. تشبنت يدا حمدان على عصاه بقوة و قد اتسعت عيناه على آخرهما يحاول أن يتبين أى شئ من الظلام المحقق به .. الرياح القوية بدأت تهب مرة أخرى .. تكاد تقتلعه من على ظهر حماره الذي يرفض بعناد المضى قدماً .. يتذكر الحكايات التي قيلت عن المكان .. كل حكاية و كل قصة تطفو الآن بقوة بداخل ذهنه .. تكاد ضربات قلبه تتوقف .. خيل إليه فجأة أنه رأى شبحاً يمر من جواره .. بسرعة كتم أنفاسه .. تجمد الدم في عروقه .. تيبس جسده تماماً لا يكاد يتنفس .. توقف عقله عن التفكير .. حاول أن يتذكر أى آيات من القرآن و لكنه كان في حالة لا تسمح له بتذكر أى شئ .. شعر بهواء ساخن يلفح رأسه .. من أين يأتي الهواء الساخن في ليلة شديدة البرودة كتلك .. تناهى إلى أذنه أصوات تقترب منه .. أصاغ السمع جيداً .. لعلها خيالات تفرضها سطوة المكان ، لكنه لم يكن واحماً .. الأصوات تقترب .. أصوات أقدام .. تجمدت أطرافه .. شل الخوف أدراكه .. مرت لحظات كأنها دهور .. شئ يعبت برأسه فيلتفت فجأة ليصطدم بالظلام .. الأصوات تقترب من خلفه .. خافتة و لكنها واضحة .. أدار رأسه ببطء و حذر شديدين .. رفع قدمه اليسرى لينزل عن حماره .. الصوت يدنو منه .. يتبينه الآن بوضوح .. شئ ما خلفه يقترب منه

ببطء كما يشعر .. تناول عصاه و شد عليها بيده .. يتنفس بقوة .. لم يعد يستطيع كتم أنفاسه المتلاحقة .. كان يهم بالنزول من على حماره عندما تحرك الحمار للأمام بغتة .. حركة مفاجئة لم يستطع معها حفظ توازنه .. وقع على الأرض بقوة .. أرتطمت قدمه بعنف بأحد الصخور الناتئة .. صرخ حمدان من الألم .. دوت صرخته في المكان بعنف لتشق سكون الليل .. حاول أن يقف على قدميه و لكنه لم يستطع .. تألم بشدة بينما أقرب الصوت منه و الذي سمعه تلك المرة واضحاً .. صوتاً خافتاً يناديه بأسمه

تختلف روايات أهل القرية كلما تذكروا قصة حمدان .. عاد حمدان إلى قريته تلك الليلة و هو يجر قدمه التي تنزف .. لولا صديقه سعد لما أستطاع العودة .. سعد الذي تأخر في الحقل هو أيضاً و كان في طريقه عائداً عندما لمح حمدان من بعيد .. لم يتعرف على من يسبقه على الطريق بسبب الظلام فنأى عدة مرات ليتوقف و لكن ضاع صوته مع الرياح القوية .. و عندما وقع حمدان هرع إليه و عرفه .. كانت قدم حمدان في حالة سيئة و أستمر ينزف بقسوة طوال الطريق الطويل ..أضطروا لنقله إلى مستشفى بعيد حيث لا يتوافر آخر في القرية الصغيرة فساءت حالته أكثر .. أنتابته حمى و بدأ يهذى بكلمات غير مفهومة عن أشباح و عن الساقية .. أثبت التشخيص وجود كسر مضاعف في قدمه اليسرى .. حشروا قدمه في الجبس شهراً .. أبلغوه أنه

سيعرج بعد فك الجبس لأنه تأخر كثيراً في علاج أصابته .. تحولت حياته بعدها للأسوأ لفترة ليست بالقصيرة .. خطيبته هجرته .. قالت أنها لن تتزوج من رجل أعرج .. الأرض تم أهملها لفترة بعد غياب صاحبها عنها .. حمدان رجع بعد مدة طويلة إلى حياته وإلى عمله .. عاد أكثر شجاعة من قبل رغم قدمه العرجاء .. لا يخاف من أى شئ .. الغريب أنه كان يصصر على الذهاب إلى حقله ليلاً ليسقى زرعه قبل الناس .. يمر من نفس الطريق بلا خوف .. يواجه الناس بأن كل حكايات الساقية المهجورة مجرد أوهام خلقوها .. وأنها سبب ما حدث له .. ولكن أهل القرية لا يصدقونه .. يقولون أن شبح المرأة أخذ قدم حمدان ، وأخذ معها عقله .. ولكنها كانت رحيمه به .. لم تأخذ حياته .. وما زالوا يضيفون قصة حمدان إلى عشرات القصص التي لا تنتهى عن الساقية المهجورة

العصبى

كان الجميع يعلم أنه عصبى .. هذه ليست المشكلة .. المشكلة أنه كان يعترف بهذا .. كان يعترف أنه عصبى .. سريع الأستثارة .. و مندفع .. و لكنه لم يحاول تغيير ذلك أبداً .. كان ينتابه الغضب و يندفع في السباب كالسيل العارم لأتفه الأسباب .. و أحياناً بدون أسباب تذكر .. يفقد أعصابه بسهولة فيثور دون أن يبالي بالعواقب .. برميل من البارود قابل للأشتعال في أى لحظة كما يحلو للبعض أن يصفه .. تلك كانت طبيعته المميزة .. و هكذا مضت حياته .. مشاكل له .. و مأساة للآخرين ممن أوقعهم حظهم العاثر في دائرة التعامل معه .. جيرانه يخشون الأقتراب منه بعد أن علمتهم التجارب أن الاحتكاك به ينتهى دوماً بنتائج وخيمة .. زملائه في العمل يواصلون الشكوى منه .. و أصدقائه يتناقصون تدريجياً عاماً بعد آخر .. صحيح أنه يتمتع بصفات كثيرة جيدة .. فهو كريم و " شهم " كما يراه أصدقائه .. و " قلبه أبيض " كما تؤمن زوجته .. و لكن تلك الصفات لم تحسن من صورته كثيراً أمام الناس .. و لم يكن هو يهتم بتحسين صورته على أى حال .. فأراء

الناس لم تعد تعنيه .. حيث يعيش على طبيعته كما يؤكد .. و يزعم دوماً أن تصرفات الناس وأفعالهم الخاطئة هي ما تستثير غضبه

حتى مساء أحد الأيام .. كان يشاهد مباراة لكرة القدم .. و فريقه كان مهزوماً .. أنفعل بشدة مع المباراة و نسى نفسه .. و مع أهدار أحد اللاعبين لفرصة تسجيل هدف .. أندفع يكيل الشتائم بدون وعى للاعب .. و لفريقه .. و لكرة القدم كلها . عندما أنتهت المباراة أغلق التلفاز .. أقرب منه أبنه الصغير الذي لم يتعد عمره خمس سنوات .. حضنه بحنان .. رفع الولد رأسه إلى أبيه بفضول .. نظر إليه في براءة قبل أن يسأله " بابا .. يعنى أيه ابن ال ؟ "

صعقته المفاجأة .. لم يصدق ما سمع .. لم يلاحظ أن أبنه الذي كان يلهو ببعض اللعب أمام التلفاز قد سمعه .. بل و حفظ كلماته .. أو بالأصح شتائمه .. و تفاجئ بسؤاله .. لم يجد أجابة تسعفه و لم يدر كيف يتصرف فوقف أمام أبنه عاجزاً .. ندم على أنه تفوه بهذا اللفظ .. و رأى شريط حياته أمامه بكل مشاكلها التي سببها الغضب .. تطلع إلى إبنه بشفقة .. و لأول مرة لم يتمنى أن يشب أبنه مثله .. لم يرغب أن يزرع في أبنه نفس صفاته السيئة لم يستطع النوم طوال الليل .. ظل يفكر طويلاً .. يحاسب نفسه حساباً عسيراً و يعاتبها .. في الصباح كان قد عقد العزم على أمر ما .. قرر فجأة أن

يبتغير .. شعر أن الغضب يسلبه عقله بالفعل وأنتابه ندم لأول مرة في حياته .. ندم حقيقى ليس فقط على كل المواقف الممرجة التي سببتها له عصبيته الزائدة و لحظات تهوره .. بل و للمشاكل التي سببها هو للآخرين .. سهر طوال الليل يفكر .. يلوم نفسه و يحاسبها بقسوة .. كيف سمح لنفسه أن يقع تحت رحمة الغضب ، أن يجتاحه لهذا الحد .. كيف لا يستطيع أن يحفظ لسانه حتى أمام أعز الناس لديه .. صمم على أمر ما و قرر تنفيذه بلا تردد .. يتذكر أن أحد أصدقائه المقربين تحداه مازحاً من قبل بأن ينجح في قضاء و لو يوم واحد من حياته بلا مشاكل .. بل توقع له الفشل التام و راهنه بشدة على أنه لن يتمكن من ذلك .. فكر فيما قاله بجد تلك الليلة .. هل من الصعب حقاً عليه أن يقوم بأمر مماثل .. لما لا يجرب أن يقضى يوماً واحداً فقط من حياته بلا غضب .. ربما خطوة صغيرة على الطريق الصحيح للتخلص من تلك الحالة التي تفحلت لتسيطر عليه .. فكرة رغم بساطتها قد تكون خطوة أولى قد تغير مجرى حياته بأكملها .. سيتعلم أن يسيطر على أعصابه أكثر .. أن يمنع نفسه من الغضب .. لن يثور لأي سبب و لن يدع غضبه يتحكم به .. لن يتبادل السباب أو ألقاء اللعنات جزافاً على أى شئ أو شخص يستفزه .. و سينجح في الحفاظ على هدوء أعصابه تحت أى ظرف .. راهن نفسه على النجاح .. أن يكون شخص مثالى و يدع يوماً واحداً من حياته

يمر بسلام .. بلا مشاكل من أى نوع .. لن يكون الأمر صعباً .. وسيثبت
لنفسه أنه قادر على أن يكون أنساناً أفضل إذا حاول .. صمم على خوض
التجربة مهما كانت نتائجها .. وفي الصباح نهض بتفاؤل كبير على النجاح
تناول أفطاره في حماس .. قبل أبنه الصغير بحنان قبل أن ينزل ..
زوجته لم تراه مبتسماً هكذا من قبل .. بخاصة في بداية يومه .. طلبت منه
مبلغاً إضافياً من المال .. منحها أياه بدون أن يسألها عن السبب كالمعتاد ..
أسرع بالخروج و قد دب نشاط غريب في جسده..

قبل أن يخطو نحو المصعد .. تعثر بشئ ما .. كاد أن يسقط على وجهه ..
نهض بسرعة و تطلع بغضب ليرى ماهية الشئ الذي تعثر به .. لم يكن سوى
كيس القمامة الخاص بجاره .. وضعه في منتصف الردهة و ليس أمام شقته
كما يفترض .. أحس بالدماء الحارة تسرى إلى عروقه بسرعة و الغضب
يجتاحه .. ولكنه تمالك نفسه .. تذكر أنه قطع وعداً لنفسه أن يكون مثالى
اليوم .. أغمض عينيه محاولاً أسترداد هدوئه .. و تذكر فجأة نصيحة أحد
أصدقائه .. أن يحاول جاهداً ألتماس الأعذار للناس قبل أن يثور عليهم ..
واصل التنفّس بعمق .. أقنع نفسه بسرعة أن جاره ربما قام بذلك عن غير
قصد ، أو ربما أحد الأطفال الأشقياء عبث بالكيس و ركله إلى منتصف
الردهة .. شعر بالارتياح قليلاً لتفسيره الأمر على تلك الصورة .. و بعد ساعة

أو أقل سيخرج جاره على أى حال إلى عمله الصباحى و بالتأكيد سيعيد كيس القمامة لمكانه .. سرعان ما تمالك رباطة جأشه .. زفر أنفاسه بعمق .. و أنتابه شعور بالراحة لنجاحه في كبت تيار غضبه قبل أن يتأفقم

توقف أمام المصعد و ضغط المفتاح .. أنتظر طويلاً .. المصعد لا يتحرك من الطابق الأول .. تريث فترة أطول بلا جدوى .. قرر أن يهبط على الدرج .. لايضايقه أكثر من استخدام الدرج فهو ليس شخصاً رياضياً بطبعه .. ربما أصاب المصعد عطل مفاجئ .. هكذا قال لنفسه .. في الطابق الأول لمح طفلين من أطفال الجيران يلهوان داخل المصعد و قد تركا بابه مفتوحاً .. أغتاط بشدة .. لم يجد عذراً تلك المرة كى يبرر فعلتهما .. هم أن يتوجه إليهما و يعنفهما بشدة .. أنكمش الطفلان خوفاً عندما لمحوه متجهاً نحوهما .. يعرفانه جيداً .. تقدم منهما ببطء و هو يلهث ، سيطر على أعصابه بشدة حتى لا تنفجر .. نظر إلى كل منهما ببرود .. تمالك نفسه وغادر بسرعة بينما تطلع الاطفال كل منهما للآخر بعدم تصديق

توجه مسرعاً نحو سيارته الصغيرة .. كم يعيش تلك السيارة المتهالكة رغم أعطالها المتكررة في الفترة الأخيرة .. يعتنى بها كثيراً منذ ورثها عن أبيه ، يعشقها ويخاف عليها .. بل و يكلمها أحياناً و كأنها تفهمه .. عبر الشارع .. لم يدرك أن هناك مفاجأة أخرى في أنتظاره .. لمح أثنان من المراهقين

يجلسان على مقدمة السيارة التي لا تتحمل ثقل وزنيهما خاصة و أن أحدهما
بديناً .. تحركت بوادر الحرب داخل نفسه .. تسمر في مكانه لدقيقة يحاول
أن يسيطر على أنفعالاته الثائرة بصعوبة .. أطرق للأرض يتنفس بعمق ، و
لأنه قرر أن لا يثير مشاكل من أى نوع ، لم ينقض عليهما كالعصاة و
يلقنهما درساً كما كان معتاداً أن يفعل في مواقف كتلك .. أقترب من السيارة و
طلب منهما بأدب أن ينزلا عن مقدمتها .. تطلع إليه أحدهما بأستهتار ..
نهضا و أنصرفا بكسل .. تمنى لو يلحق بهما بسيارته و يدهسهما .. لم
يحاول أحدهما حتى أن يعتذر .. نظر إلى سيارته العزيزة في شفقة ..
تحسسها برفق .. لاحظ أن السيارة ما زال يعلوها التراب .. تذكر أنه أعطى
البواب نقوداً بالأمس لكى يغسل السيارة .. البواب الكسول المخادع
تجاهله .. هكذا قال لنفسه .. هم أن يتوجه إليه و يفرغ شحنة الغضب التي
تتملكه الآن فيه .. في منتصف الطريق تذكر أن البواب كان يسعل بشدة عندما
رآه بالأمس .. ربما لم يغسل سيارته لأنه كان مريضاً و ليس كسلاً منه كما
ظن .. تريث لبرهة .. عليه أن يكون أيجابى و يلتمس الأعذار للناس ..
تسمر في مكانه ، هز رأسه في حيرة .. أنسحب عائداً لسيارته .. سيطمئن
عليه عندما يعود .. و السيارة لن يضرها بأى حال أن تبقى يوماً آخر بلا
تنظيف .. نظر إلى زجاج السيارة .. أحد الظرفاء أستغل تراكم التراب عليه و

قام برسم بعض الأشكال و الكلمات عليها .. مسحها بكل هدوء

ركب السيارة و أنتظر قليلاً حتى " يسخن " محركها .. قبل أن يغادر
قطعت عليه فجأة سيارة كبيرة الطريق .. شاحنة نقل توقفت أمام سيارته
تماماً لأفراغ بعض البضائع .. لم يستطع أن يتحرك .. قطب حاجبيه في غضب
يدرك بواذره .. من المؤكد أن السائق أعمى أو لا يدرك أصول القيادة كي يصف
سيارته أمامه بذلك الشكل الفج .. هكذا قال لنفسه .. تذكر موقف مماثل
حدث من عدة أيام .. لم يترك السائق إلا بعد أن " مسح بكرامته الأرض " .. لا
يريد أن يكرر نفس السلوك العنيف مجدداً .. لن يضره بعض الانتظار بأى
حال .. تمهل في سيارته طويلاً حتى أفرغت سيارة الشحن حمولتها .. انطلق
بعدها إلى عمله حانقاً

فى العمل أنهمك بكل حواسه فى دراسة بعض الملفات و إنهاء بعض
الأوراق الهامة .. أثناء أنشغاله جاءه الفراش بكوب الشاى الذى طلبه .. هم
بوضع الكوب أمامه حين ناداه أحد زملائه .. ألتفت إليه بقوة فأصطدم
بالفراش الذى يقف بجانبه تماماً .. أنساب السائل الساخن فوق الملفات ،
بينما أنسكب جزء منه على ساقه .. أنتفض من الألم .. نظر بحسرة إلى
الأوراق التى غرقت فى السائل الداكن .. أحمرت عيناه من الغضب بينما وقف
الفراش يتطلع إليه فى رعب حقيقى و يتوقع رد فعله العنيف فهو يعرف

طباعه جيداً .. للحظات تخيل أنه على وشك أن ينقض على الفراش المسكين و يمزقه بأسنانه .. سحب نفساً عميقاً و زفره ببطء .. ظل يتنفس في قوة حتى يهدأ .. تمالك نفسه بصعوبة .. بدأ في تنظيف المكتب بينما هم الفراش بمساعدته مواصلاً الاعتذار إليه بخوف و جسمه ينتفض .. أشاح له بالأنصراف ، فلو بقي أمامه طويلاً لتغير رد فعله بالتأكيد .. أنصرف الفراش و هو لا يصدق أنه نجا .. بينما نظر إليه زملائه في العمل بدهشة .. لم يعتادوا منه أن يفوت مثل تلك الفرص لتنفيث غضبه الكامن .. قام ينظف ثيابه و عاد للعمل بعد عدة دقائق و وجهه محتقن بشدة

كان الجو حاراً .. و رغم المروحة التي تعمل بكل قوتها إلا أن الجو داخل المكتب ظل خانقاً .. توجه لتصوير بعض الأوراق الهامة .. أنقطعت الكهرباء فجأة .. رجع ساخطاً .. بدأت قطرات من العرق تنساب منه بينما آلمته عيناه و هو يراجع الملفات بعد أن أصبحت نافذة صغيرة يأتي منها ضوء الشمس هي المصدر الوحيد للأضاءة داخل الغرفة المغلقة .. أستدعاه مديره .. أعطاه مزيد من الأوراق و طلب منه بسرعة مراجعتها لأن أحد زملائه تغيب عن العمل .. هم برمى الأوراق في وجهه مهما كانت عواقب ذلك الفعل .. أراد أن ينفجر فيه فكيف يقوم بكل هذا العمل في مثل ذلك الجو الخانق .. و لكنه بدلاً من ذلك تناول الأوراق مغتاضاً بلا كلام و خرج ..

مرت ساعات من المعاناة في العمل .. قرر الأستئذان مبكراً .. عليه أن ينهى بعض الأوراق الخاصة بنقل أبنه من مدرسته القديمة إلى مدرسة أخرى جديدة بجوار منزله .. الطريق كان مزدحماً بشدة .. أثناء مروره بأحد الشوارع لمح سيدة و معها أطفالها الثلاث يحاولون بيأس عبور الطريق .. توقف بسيارته ليسمح لها بالعبور .. فاجأه كم هائل من أبواق السيارات الغاضبة ورائه لتعطيله المرور .. بينما قام بعض السائقين بتوجيه سيل من الشتائم له .. غلت الدماء في عروقه .. قرر أن يترجل من سيارته و يرد لهم الصاع صاعين .. ثم تذكر أنه يرغب أن يمر اليوم بسلام .. كبت ثورته التي توشك على الانفجار و أنطلق بالسيارة مرة أخرى وسط سياب الكثيرين الذي يصل واضحاً لسماعه .. عندما وصل إلى المدرسة الجديدة .. سأل عن الموظف المسؤول لتسليمه ملف أبنه .. أخبروه أنه غائب .. تلك ثالث مرة يترك عمله و يأتي ليتفاجئ به غير موجود .. سأل أقرب موظف له بنفاذ صبر لما لا يحل موظف آخر مكان زميلهم الغائب و يتولى عمله ، خاصة و أنه يرى العديد منهم بالفعل داخل المكتب بلا عمل .. نظر إليه الموظف ببرود قبل أن يرد عليه بأن جميع زملائه مشغولون بأعمالهم ! .. أراد أن ينفجر فيهم جميعاً .. تذكر أبنه .. سحب الملف و هو يرمقهم بنظرات ناربية و خرج خائباً ، خالى الوفاض مجدداً

فى طريقه للمنزل اتصلت به أخته .. أخبرته أن أمه مريضة .. أنطلق إلى بيتها على الفور .. عندما وصل أسرع ليطمئن عليها .. سألها عن صحتها بخوف ، و مدى التزامها بتعليمات الطبيب .. تأكد أنها تتناول الدواء الذي وصفه لها الطبيب بانتظام ، ما سبب تراجع صحتها إذن .. لاحظ ظهور بضع بقع حمراء على جلدها.. لا بد أنه من آثار الدواء الجديد .. لعن الطبيب في سره .. أخبره من قبل أن والدته تعاني من الحساسية من مكونات بعض الأدوية .. رافق والدته للطبيب مرة أخرى .. في العيادة تأخر الطبيب كالعادة بينما أصطف المرضى لأنتظاره طويلاً .. جلس على مقعد متهالك و بجواره والدته المسنة .. نظر بأشمئزاز إلى العيادة غير النظيفة و إلى الأثاث البالى .. تعجب لما لا يهتم الطبيب بعيادته قليلاً رغم أنه يجنى الكثير من المال .. زاد حنقه على الطبيب و لكنه تمالك نفسه حرصاً على والدته .. وصل الطبيب أخيراً .. أنتظر طويلاً و أضطر أن يدس في يد الممرضة مبلغاً من المال خلسة لتسمح له بتجاوز طابور المرضى الطويل .. كشف الطبيب على والدته و وصف لها دواءً جديداً .. ضايقه بشدة أن الطبيب لم يحاول حتى أن يعتذر عن وصفه لدواء خاطئ من قبل و كأنه أمر طبيعى أعتاد القيام به .. تمنى في تلك اللحظة أن يحطم رأس الطبيب و معها عيادته المتواضعة .. بداخله حاول ألتماس الأعذار للطبيب نتيجة لمشاغله الكثيرة .. و لكنه لم ينجح و رفض

عقله بلا وعى كل الأعذار التي حاول أخلاقها .. غادر العيادة و هو أكثر حنقاً محاولاً منع نفسه من القيام بأى رد فعل متهور كما اعتاد .. أتصلت به زوجته .. و طلبت منه شراء بعض الطلبات الأخرى .. قام بمرافقة أمه للمنزل .. أطمئن عليها و أنطلق لشراء الطلبات..

في الطريق توقف أمام إشارة ضوئية مزدحمة .. أمامه سيارة فارهة يركبها شاب لا يتعدى عمره العشرين و بجواره فتاة في مثل سنه بينما صوت الموسيقى العالى ينساب من السيارة ليصم الآذان .. يتبادلان الضحك بمجون ، و يميل عليها كثيراً و كأنهما وحدهما و ليس في طريق عام .. تطلع نحوهما بعض سائقى السيارات المنتظرة في فضول نهم .. و بعضهم في حنق واضح على تصرفاتهما .. أنتظر في الإشارة طويلاً .. عندما أضاء الضوء الأخضر أخيراً أستعد للانطلاق .. و لكن الشاب في السيارة الفارهة أمامه لم يتحرك .. ما زال يميل على الفتاة و يضحكان .. أطلق نفير السيارة عدة مرات و لكن الشاب لم ينتبه .. أنطلقت أبواق السيارات خلفه في غضب لتصم آذانه .. عندما أنتبه الشاب أخيراً نظر وراه للسيارات المنتظرة بلا مبالاة .. أنطلق بببطء بينما يتحول لون الإشارة من البرتقالى إلى الأحمر .. اضطر للتوقف بينما عبر الشاب .. ضرب المقود في غضب .. فكر في كسر الإشارة الحمراء و الذهاب وراء الشاب ليحطم رأسه و سيارته اللعينة معاً .. منع نفسه بصعوبة من

أرسال كم هائل من الشتائم كما فعل العديد من سائقي السيارات خلفه .. عليه
الانتظار مرة أخرى حتى تفتح الإشارة مجدداً في صبر

تذكر أنه لم يدفع فاتورة الماء والكهرباء .. أنتظم في طابور طويل حتى
سد فاتورته .. عندما أنتهى عاد إلى سيارته .. أكتشف أن الأطار الأيمن
للسيارة فارغ .. ربما بسبب مسمار أو زجاج مكسور ، أو أحد تلك المخلفات
غير المعروفة و التي تتناثر بكثرة على طول الطريق .. كتم أنفاسه في ضيق ..
لم يكن معه أطار احتياطي .. ركن السيارة و أستقل تاكسى بعد فترة أنتظار
طويلة تحت لهيب الشمس .. في الطريق .. أصر السائق على تشغيل أحد
الأغاني الشعبية الهابطة بصوت عال بينما يواصل تدخين سيجارته في
شراهه .. نظر للسائق بنفاذ صبر .. تضايقه رائحة السجائر .. بينما تؤلمه
أذنه من صوت الأغنية الرديئة .. تذكر آخر مرة حدث له موقف مماثل ..
تلقى السائق درساً قاسياً و أنتهى الأمر بهما إلى الشرطة في النهاية ، و عاد
إلى بيته في المساء بعين متورمة و لكن بعد أن لقن السائق درساً لا ينساه .. لا
يريد أن يتكرر الأمر مرة أخرى .. ما زال يتمالك أعصابه بنجاح .. يسرح
بأفكاره .. اليوم لم ينتصف بعد و قد أحس أن أصراره على أن يكون مثالياً
أمراً صعب للغاية ، أصعب بكثير مما كان يتوقع .. ولكنه ما زال متمسكاً ..
نزل في مقدمة الشارع الذي يسكنه .. عليه شراء بعض الطلبات ، لا يدري لما

تطلب منه زوجته كل تلك الأغراض اليوم .. يحس بصداق رهيب .. ربما بسبب الحر .. أو بسبب أكواب القهوة الكثيرة التي تناولها في العمل دون تناول أظفاره .. في الطريق .. تفاجئ بمقابلة صديق قديم لم يره منذ فترة طويلة .. رحب به بحرارة .. أصر الصديق على الجلوس معه قليلاً لمعرفة أحواله .. أصرحبه لمقهى مجاور .. جلسا على الناصية بينما أنهمر الصديق في سرد ذكريات حياته دون أن يدع له أى فرصة للكلام .. الصداق يزداد .. على الناحية المقابلة للشارع الذي يقوم عليه المقهى رجل يقوم بأشعال النار في صندوق القمامة الممتلئ .. يتصاعد دخان أسود كثيف من الصندوق بينما يحمل الهواء الدخان الكثيف إلى حيث يجلس .. يسعل بشدة ويحس بالأختناق .. هم بالذهاب وراء الرجل و الاعتداء عليه .. كيف يفعل ذلك وسط منطقة سكنية .. ولكنه فكر قليلاً .. فهو نفسه أحياناً يقلده كحل أخير بعد أن تتراكم أكوام القمامة أمام العمارة و تتأخر البلدية في جمعها .. يتلاشى غضبه و لكن الدخان الخانق يعمى بصره .. لا يستطيع التنفس .. ينتهز الفرصة و يستأن صديقه في الأنصراف .. يتنفس الصعداء لأنه تخلص من حديثه الممل .. يسرع لشراء الطلبات .. تفاجئ بأرتفاع أسعار معظم السلع .. جن جنونه .. ليس من المنطقى أن تزيد الأسعار بين يوم و ليلة بهذا الشكل .. يقولون أن سعر وقود السيارات زاد و كنتيجة له زادت الأسعار ..

لا يصدق تلك الحجج الحمقاء .. لو أستمر الحال هكذا فلن يكفيه راتبه قريباً .. خرج حانقاً..

الصداع يزداد ضراوة .. توجه إلى منزله وقد بدأ الظلام يعم المكان .. الأكياس ثقيلة بينما نال الأعياء منه تماماً .. يراه أحد جيرانه .. يسرع للسلام عليه و تبادل قليل من الحديث معه حول مشكلة ما خاصة بالصيانة داخل البناية .. يلعن جاره في سره .. ألا يمتلك عينان ليرى بوضوح كم الأكياس الثقيلة التي يحملها .. أضطر للتوقف معه قليلاً من باب الأدب و هو يهز رأسه موافقاً على كل كلمة يقولها ليسرع بانتهاء الحديث .. أنصرف بعدها الجار دون أن يعرض عليه حتى مساعدته في حمل الأكياس .. تمنى لو رجع إلى طبيعته المتهورة مع جاره لدقائق ليلقنه درساً لا ينساه .. أنطلق بببطء إلى المنزل .. البواب يسقى الزرع قريباً من مدخل العمارة .. لا يبدو عليه المرض .. يسأل نفسه لما لم يغسل السيارة إذن في الصباح طالما صحته تبدو جيدة .. ربما هناك عذر آخر .. لم يهتم .. حاول تجاهل الأمر وتقدم بببطء نحو باب المصعد و هو يلهث .. أنتظر طويلاً .. لم ينتبه إلى وجود ورقة معلقة تفيد بأن المصعد معطل .. عندما قرأها ، أندفع الدم في عروقه بقوة من الغضب .. لا شك أنه نتيجة لعبث الأطفال صباحاً .. لو كان نهرهما في الصباح لما حدث ذلك .. أضطر إلى صعود السلالم .. وصل إلى الطابق الخامس حيث

منزله لاهث الأنفاس بينما يتصيب العرق الغزير منه .. يحس بصداع رهيب .. وصل أمام بيته خائر القوى تماماً .. ولكنه كان سعيداً .. لأول مرة منذ فترة طويلة يعود لبيته بدون مشاكل .. يمر يومه بسلام .. لم يسمح لأى أحد ، أو لأى ظرف أن يستثير أعصابه و يخرجته عن شعوره اليوم .. لم يقم بأى رد فعل متهور أو أحمق .. نجح في أن يدع يوماً واحداً من حياته يمر بسلام أخيراً

يتقدم نحو شقته بسعادة و أعياء .. يشم رائحة غريبة .. يلاحظ أن كيس القمامة الخاص بجاره ما زال في مكانه وسط الردهة و قد عبثت به بعض الحيوانات فتمزق و أنبعثت منه رائحة كريهة تملئ المكان .. لم يهتم .. يحس بالصداع يزداد .. يخرج المفاتيح بصعوبة .. كل ما يحلم به في تلك اللحظة حمام دافئ يزيج به تعب اليوم ، و ووجبة ساخنة من يد زوجته الجميلة ، و قبلة على جبين ابنه الصغير .. يفتح باب الشقة بأعياء .. المكان غارق في الظلام .. يحاول أشعال الضوء و لكن بلا فائدة .. مشكلة ما في الكهرباء كما يبدو .. و لكن الأنوار مضاءة في الردهة الخارجية .. هناك عطل ما في الكهرباء داخل شقته فقط .. يغتاض من العطل المفاجئ .. يبعد المنزل خاوياً على غير المألوف .. أين ذهبت زوجته .. ربما خرجت لأمر ما .. ينادى البواب ليعرف سبب المشكلة ، يحمل الأكياس للداخل .. في تلك

اللحظة يتمزق أحد الأكياس فجأة و تتناثر محتوياته في كل مكان .. كان أمراً عادياً يحدث كثيراً .. ولكنه لم يستطع أن يتمالك نفسه و هو يرى بعض الفاكهة التي أرقق نفسه في أنتقائها تختلط بكيس القمامة الممزق خارج الشقة .. في تلك اللحظة لم يستطع التفكير .. حاول ولكنه لم يستطع .. و أنفجر بركان الغضب بداخله .. و لم يستطع منعه .. لم يشعر بشئ سوى بالدماء تندفع إلى عينيه و تصبغ كل شئ باللون الأحمر .. و بدخان كثيف يتكون بداخله يجب أن يجد منفذاً .. ركل الباب بعنف بينما أندفع في السباب بقوة .. أنطلقت اللعنات كالرصاصة .. بدأ بالبقال الذي أعطاه أكياس غير صالحة ثم بجاره .. أنطلق يطرق باب جاره بقوة دون رد .. يكيل له الشتائم بغيظ .. لكن يبدو أنه غير موجود .. زاد غضبه و هياجه .. أندفع يلعن كل شئ .. توجه للدرج يسب البواب الذي يصعد السلالم ببطء شديد .. في تلك اللحظة ، ينتبه فجأة على الأنوار و هى تضاء داخل منزله .. يلتفت إلى زوجته التي تقف في منتصف الشقة و حولها مجموعة من أقاربه و أصدقائه .. تمسك بيديها كيكة كبيرة مكتوب عليها اسمه بينما الزينة تملأ جنبات منزله .. تذكر أن اليوم عيد ميلاده .. نسي ذلك تماماً .. زوجته أرادت صنع مفاجأة خاصة له .. تعلم أنه يحب المفاجآت كثيراً .. لم يتوقعها حقاً .. تسمر الجميع في أماكنهم و هم ينظرون إليه بدهشة بعد فاصل السباب

الذي أندفع منه ، و أنطلق من فمه بلا حساب .. تجمد في مكانه للحظات ..
لم ينبس بكلمة .. تقدم أبنه الصغير منه .. حضن أبيه في لهفة .. أحتضنه
في عطف و هو ينظر للآخرين بخجل .. رفع الولد رأسه لأبيه ، و سأله في
منتهى البراءة : " بابا .. يعنى أيه أولاد الـ.. اللى قلتها من شوية "

البطل

قلبه يرتجف .. رعشة تسرى في أطرافه و لكنه يتقدم بثبات .. يقترب من الهدف .. تراءى له القصر من بعد .. قصر أشبه بالحصن يقف شامخاً .. الحراس في كل مكان .. يمسكها جيداً .. يمنى نفسه بأن لحظات و ينتهى الأمر.. على بعد دقائق من النصر الذي حلم به هو و شعبه .. مقر الحاكم يقع على بعد مائة متر .. الديكتاتور المستعمر الذي طالما أذل شعبه و ذاق الناس من ظلمه الكثير .. مستعمرأ جاء ليستنزف خيرات وطنه .. يحيط نفسه بمجموعة كبيرة من الحراس ليلاً و نهاراً .. يحمونه من بطش الشعب .. قوته الغاشمة التي تساعده على فرض سيطرته و جبروته أكثر على الناس .. سنوات طويلة و الناس تحلم بالخلاص منه .. يده تلوثت عبر سنوات حكمه الظالم بدماء العديد من الأبرياء .. و سجونته ما زالت تزخر بالكثير من المعارضين .. شعب مسكين يتردى تحت الفقر و يأن تحت وطأة الحرمان .. بينما تزداد ثروته .. يقضى على أى شخص يمكن أن يهدده أو يقف في طريقه بلا رحمة .. يزداد ظلمه مع السنوات .. وصل الناس إلى مرحلة اليأس تحت

حكمه .. يتمنون هلاكه .. محاولات كثيرة قام بها شباب و رجال لأغتياله و لكنها أنتهت كلها إلى الفشل .. ككل مستبد هو .. يجيد حماية نفسه

تلك المرة تم تخطيط كل شئ مسبقاً بشكل جيد .. كان يعمل بستانياً في قصر الحاكم .. أستمر فترة طويلة في عمله حتى بدأ الحراس في الوثوق به .. ثلاث سنوات كاملة ينتظر الفرصة المناسبة .. عندما جاء إلى القصر كان يمنى نفسه فقط أن تتاح له الفرصة لقتله و هو يتجول في الحديقة .. أو يتسلل داخل القصر ليقترابه .. و لكن لم تتاح له الفرصة لذلك أبداً .. دائماً يفرغ حراسه الحديقة من العمال عندما يعتزم التجول فيها.. و القصر ممنوع لأحد الأقتراب منه .. لم ييأس .. أستمر في عمله مظهراً إخلاصاً لا مثيل له .. لا يعلمون أنه ينتمي لأحد الجماعات السرية التي تقاوم الحاكم .. شجاعته و قوته دفعتهم للوثوق به في مهمة صعبة كذلك .. و رغم فشل مخططه لكنه أستمر بدراسة تحركات الحاكم جيداً .. لاحظ أن الحاكم يحب الزهور النادرة .. يحتفظ بمجموعة من الزهور الغريبة و النادرة حقاً في ركن خاص في الحديقة أسفل شرفته مباشرة .. يتولى رعايتها و يشرف عليها بنفسه .. خصوصاً تلك النباتات المستوردة من بلده .. يوليها اهتمام غير عادى .. و عند سفره أو انشغاله يترك مهمة تنسيقها للبستاني الذي سبقه .. الوحيد الذي يسمح له بالأقتراب من القصر .. و انتته يومها فكرة .. بدأ بالقراءة عن تلك

الأزهار .. تقرب من البستاني السابق للاستفادة من خبرته .. وعندما مرض البستاني .. لم يجدوا أفضل منه لرعايتها .. وثقوا به .. أصبح مسموحاً له بالاقتراب من القصر .. أعجب به الحاكم بعد أن أهداه يوماً أحد الزهور النادرة .. اشتراها بمبلغ كبير حقاً بعد أن قرأ عنها الكثير .. داوم كل فترة على أهدائه بعض من تلك الأزهار .. يضعها في أناء و يحملها إلى القصر .. في البداية كان الحراس يقومون بتفتيشه بشكل صارم .. أحياناً يكسرون أناء الورد للتأكد من عدم احتواءه على شئ .. ثم بدأوا في الوثوق به .. مع مرور الأيام داوم على عمله بكفاءة حتى لم يعد يثير الشبهات .. ينسق الزهور تحت أشرف أحد الحراس في ركن خاص بها من الحديقة تقع فوقه شرفة واسعة تطل على حجرة الطعام الرئيسية .. يهوى الحاكم عادة تناول الإفطار في الشرفة صباحاً مع أسرته ثم الخروج للحديقة للتمتع برائحة زهوره و تفقدتها .. تعرض عليه بعض التقارير أحياناً و هو جالس في شرفته .. شهور طويلة مرت .. أطمئن أن الحراس بدأوا في الوثوق به .. كون علاقات صداقة مع بعضهم .. يتمتع بخفة ظل كبيرة ساعدته على الأمر .. قرر أن يشتري أناء ورد كبير .. وضع بداخله قنبلة .. غطاها بالطين و زرع داخل الأناء نوع جديد من الأزهار .. زهرة برية نادرة .. بينما أخفى جهاز التحكم عن بعد الخاص بالقنبلة تحت ملابسه .. ثم أنطلق يحملها إلى القصر ..

تقدم إلى الحراس بثبات .. قلبه يرتعش .. لو أشتبهوا في أمره و فتشوه
فهذا معناه ليس هلاكه فقط .. بل و هلاك أسرته كلها أيضاً .. أقترب
بهدهوء .. أوقفه أحد الحراس .. يسأله عن ما يحمله .. يبلع ريقه بصعوبة ..
يبتسم في وجهه و يبدأ في المزاح معه .. يخبره أنها قنبلة .. يضحك
الحارس .. يتبادلا المزاح معه قليلاً ثم يسمح له بعبور البوابة .. يتقدم
ببطء .. يده ترتجف و هو يمسك أناء الورد .. لا يلاحظ الحارس الذي
يتقدمه أرتباكه .. يتماسك بصعوبة و يستعيد رباطة جأشه .. يتذكر دم
الشهداء ممن ماتوا من أجل تلك اللحظة .. يسيطر على توتره .. يدلف إلى
الحديقة و يقترب من الشرفة المنشودة .. سيستيقظ الحاكم بعد ساعة تقريباً ..
يحفظ كل مواعيده .. يراقبه الحارس و هو يقوم برى بعض الأزهار و تقليل
بعضها الآخر .. يضع أناء الورد الجديد في مكان بارز .. بالتأكيد سيلفت نظر
الحاكم الزهرة الجديدة .. أنتهى من عمله و هو يتصبب عرقاً .. وقف في
الحديقة على بعض أمتار من القصر يتظاهر بقص بعض الاعشاب الضارة ..
ينقل بصره كل فترة بين الساعة لأستطلاع الوقت ، و بين شرفة الحاكم
مترقباً بقلق ظهوره فيها

ظل يراقب القصر بحذر .. كل ثانية تمر عليه تزيد توتره .. مستقبلة و
مستقبل أتمته قد يتعلق بتلك اللحظة .. الدقائق تمر عليه ثقيلة و يزداد

خفقان قلبه معها .. يرى حركة في القصر .. لا بد أن الديكتاتور أستيقظ ..
يسرع كل من في القصر لخدمته كالعادة .. يلمح بعض الخدم في غرفة
الطعام .. سيتناول الحاكم أفطاره الآن .. يتمنى أن تسير الأمور كما خطط
لها .. لحظات و يدخل التاريخ كبطل رفع الظلم عن قومه .. أو على الأقل
كشهيد حاول ذلك .. يحلم بالمجد .. تاريخ أجداده ملئ بالشهداء ممن ماتوا
و هم يدافعون عن راية الوطن المغتصب .. سيكمل مسيرتهم الأسطورية و
سيخلد سيرته الناس .. هدأت الحركة .. الحاكم الآن يتناول أفطاره هو و
أسرته في الشرفة .. القنبلة كافية لتدمير الشرفة بمن فيها .. و لكن ما ذنب
أسرته ، و بعض خدمه .. سينتظر حتى يهبط للحديقة كعادته كل صباح ..
لم يشعر أن وقوفه قد طال وتوقف عن العمل .. أرتاب به أحد الحراس ..
أقرب منه .. بدأ الأرتباك يعاوده و لكنه يتمالك رباطة جأشه بسرعة ..
يسأله الحارس بغلظة عما يقوم به .. أخبره أنه يقوم بآنتزاع بعض الأعشاب
الضارة .. طلب منه الحارس بحدة أن يغادر المكان .. الحارس جديد لا
يعرفه .. رأى أحلامه تنهار .. يجب أن يكون على مسافة قريبة من القنبلة
كى يعمل الريموت الخاص بها .. تطلع للحارس مجدداً .. ملامح الجد تعلو
وجهه .. الحاكم يبدو أنه أنهى طعامه .. سينزل للحديقة بعدها .. يفصله
عن حلمه لحظات .. و هذا الحارس الأحمق قد يقضى على الحلم .. ينهى

بطولته قبل أن تبدأ .. الحارس بدأ يرتاب فيه أكثر.. تظاهر بأنه أنصاع لأوامره .. نظر حوله بسرعة يستكشف المكان .. على البعد بضع حراس منهمكين في الحديث و قد أولوا ظهورهم للقصر .. بينما وقف حارس على الجانب الآخر يطعم أحد كلاب الحراسة .. تعتمد أن يسير ببطء حتى دنا من شجرة كبيرة .. ألتف وراءها .. أنحنى على الأرض متصنعاً جمع بعض الأعشاب الضارة .. يتبعه الحارس كظله .. يدنو منه وينهره بطرف بندقيته بقسوة وهو يأمره للمرة الأخيرة بالأبتعاد .. يتأكد أن لا أحد يراه .. ينهض فجأة و يباغت الحارس و يسحب سلاحه من بين يديه .. تسمر الحارس في مكانه مذهولاً .. ضربه بكعب البندقية على رأسه قبل أن يفيق من أثر المفاجأة .. أندفعت الدماء من رأس الحارس و لكنه لم ينهار .. قام بسرعة و أنقض عليه .. أشتبك معه .. الحارس قوى و لكنه يتمتع أيضاً ببنيان صلب .. سرعان ما تغلب على الحارس و أفقده الوعي .. يخفيه وراء الشجرة ويتسلقها بخفة .. يرى أحدهم يقترب من الحديقة .. يدعو أن يكون الحاكم .. تسلق الشجرة لأعلى أكثر .. وقع بصره عليه .. المستبد .. يمشى بتمهل .. يميل إلى بعض الأزهار ليشم عبقها .. يسمع وقت أقدام تأتي من خلفه .. يخرج جهاز التحكم من تحت ملبسه .. يقبض بأصابعه عليه بقوة .. ينظر للحاكم الظالم بأحتقار .. يحيا الشعب و ليسقط عصر الظلم ..

سيخلد التاريخ هذه اللحظة .. لحظة موت الطاغية أخيراً .. سيتكلمون عن بطولته لأعوام .. لا يهमे الآن أن كان قد رآه أحد .. لا يهमे سوى لحظة النصر حتى لو ضحى بحياته .. موت الظالم سيضعف جيشه و ستكون ضربة قاضية له .. يرفع الريموت عالياً بيده بتحفز.. يستعد للحظة الحاسمة .. الحاكم يلاحظ الزهرة الجديدة .. يتطلع إليها بأعجاب .. يقترب منها .. يدنو من نهايته .. تذكر شعبه .. الألاف الذين ماتوا على يد هذا الظالم .. القهر لسنين طويلة .. دماء الأنهار التي سالت بسببه .. سيبنى الشعب تمثالاً له .. للبطل المنقذ .. يسمع ضوضاء بجانبه .. يتجاهلها .. يشتد الصوت .. يعلو أكثر .. ربما رآه بعض الحراس .. لا يهتم .. ينظر للحاكم في عينيه .. يده على زر التفجير .. شخصاً من ورائه يناديه بأسمه .. لا يلتفت .. أحس بوخز في كتفه .. هل أصابته رصاصة .. ولكن لن يمنعه أحد .. ولن يوقفه شئ .. يشتد الوخز .. يتحسس زر التفجير .. أحس بشئ فجأة يلمس يده .. أنتفض فزعاً .. فتح عينيه .. تطلع إلى وجه زوجته للحظات بلا وعى .. نظر حوله بلا فهم .. تنبه لحاله .. كان جالساً على الأريكة داخل منزله المكيف و قد مال رأسه على ظهرها .. يبدو أنه غفا قليلاً كعادته .. نظر للتلفاز أمامه و بقايا الطعام التي تناثرت من حوله .. بدأ يفيق بصعوبة من قيلولته القصيرة .. التلفاز أمامه يعرض أحد أفلام الحرب

التاريخية التي تحكى بطولات أجداده و أمجاد قومه .. لا بد أنه غفا و هو يشاهد الفيلم .. " أنت نمت ؟ " سألته زوجته .. يفرك عينيه بشدة .. لم يجب .. عندما تأكدت من أستيقاظه .. طلبت منه أن يساعدها في حمل طاولة الطعام الثقيلة من حجرة الطعام حيث تريد تنظيف المكان .. تركته .. ظل في مكانه قليلاً بلا حركة .. تثائب بقوة .. ضغطت يده على شئ .. لم ينتبه أنه كان يمسك بريموت التلفاز في يده و أصابعه تتشبث به بقوة .. أحس بالألم من قبضة يده القوية على الريموت لفترة طويلة فأفلته من يده .. رماه على الأريكة .. ربت على بطنه .. أكتشف أن علب الطعام بجانبه فارغة .. نهض بتكاسل .. ذهب إلى المطبخ .. أعد بعض المأكولات السريعة .. عاد للأريكة مرة أخرى .. وضع الطعام أمامه و بدأ يتابع التلفاز مرة أخرى بحماس .. نسى كل شئ و بدأ يأكل و يضحك و هو يشاهد برنامج كوميدى هذه المرة .. نسى حلم البطولة تماماً في ثوان .. بينما ترك زوجته تقف حائرة وسط حجرة الطعام و هى تحاول جاهدة بشتى الطرق جر مائدة الطعام الضخمة .. بمفردها

الكلب

وقف عبد الباسط على أهبة الاستعداد ينتظر بترقب وصول السيدة ..
صاحبة المكان .. لم يكن قد رآها من قبل ولكنه سمع الكثير عنها .. يقولون
أنها أرملة غنية .. توفى زوجها من سنوات تاركاً لها الكثير من المال و دون
أن يترك لها أبناً واحداً .. تأتي كل فترة إلى الريف لتستمتع بقضاء بعض
الوقت بعيداً عن زحام المدينة .. ولتشرف أيضاً على مزارعها هنا .. تمتلك
فيلا كبيرة تطل على حديقة واسعة حيث تهوى زراعة الورود .. سمع أيضاً
أنها تهوى تربية الكلاب والأعتناء بها وهو ما كان يثير خوفه ، لا يخشى
أكثر من الكلاب منذ عقره أحداها وهو صغير .. ورغم مرور السنوات ، إلا
أنه ما زال يخشى الأقتراب من أى كلب يراه مهما بدا مسالماً

قطع حبل أفكاره صوت سيارة قادم .. توجه ببصره إلى بوابة الفيلا حيث
أسرع بعض الخدم إلى هناك .. سرعان ما توقفت سيارة وشاهد سيده أنيقة
تهبط منها .. ناداه السائق فأسرع عبد الباسط إليه .. عوض السائق .. هو
الذي جاء به إلى هنا .. أبن هذه القرية مثله .. عندما علم بحاجتهم إلى

بستاني تولى مهمة البحث عنه و اختار عبد الباسط في النهاية .. يعلم أنه يعمل أجيراً في حقول الفلاحين .. يعمل أياماً .. و تمر عليه أياماً أخرى بلا عمل .. ليس له خبرة في الحياة سوى فلاحه الأرض .. لن يكون صعباً عليه بأى حال الاعتناء بحديقة البيت الواسعة ، كما أنه عمل دائم و بأجر لا يحلم به

طلب منه عوض أن يحمل الحقائب .. فتح شنطة السيارة الخلفية و بدأ بأنزال الحقائب .. كان عوض ما زال ممسكاً بباب السيارة مفتوحاً رغم نزول السيدة .. نادت السيدة بصوت دافئ على شخص ما بالداخل .. ظن عبد الباسط أن أحد صديقاتها جاءت معها .. و لكن سرعان ما رأى كائناً أسود يهبط من السيارة .. كلباً ضخماً تبدو عليه الشراسة .. يحيط بعنقه طوق ضخمة ينتهى بسلسلة ذهبية في يد السيدة .. أسرع عبد الباسط لحمل الحقائب بينما أجهت للداخل يتبعها الكلب كظلها

عاد بعدها إلى عمله في الحديقة .. عند أنتصاف النهار خرجت السيدة للتنزه مع كلبها .. وقفت تتطلع إلى الحديقة .. أنحنت و أخذت تداعب كلبها و تربت عليه في حنان بينما أستسلم الكلب العملاق لمداعباتها .. و عندما حانت ساعة الغداء .. أخرج الخادم صينية كبيرة رصت عليها أنواع كثيرة من الطعام .. ظن عبدالباسط أن الطعام للسيدة ، و لكنها سرعان ما نادى

عليه .. كان يسقى أحد الأشجار قريباً منها فهرع إليها .. أمرته أن يعتنى بالكلب حتى يتناول طعامه و أتجهت بعدها إلى الداخل .. وقف الكلب يهز ذيله و هو يرى سيدته تبتعد .. بينما تسمر عبدالباسط لا يدري كيف يتصرف مع كلب بتلك الشراسة

و رغم أرتباكك ، لكن لم يكن الخوف من الكلب هو الذي يشغل باله فقط .. كانت الرائحة اللذيذة المنبعثة من الطعام و التي أهاجت معدته الخاوية هى التي بدأت تسيطر على حواسه بل و تطغى على خوفه من الكلب .. نظر الكلب لعبد الباسط بلا اهتمام و هو يتمدد على الحشائش بتكاسل ، بينما بدأ عبدالباسط يتطلع للطعام الشهى .. يلتهمه بعينه دون أن يمسسه .. أبعد عينيه عن الطعام بصعوبة .. لم يعد يهتم بالكلب النائم على بعد خطوات منه .. نظر إليه .. كم هو محظوظ .. لا يشعر بالجوع لأن أحداً يراعاه و يهتم به .. وجد نفسه بعد فترة يتجه ببصره نحو الطعام مرة أخرى بلا وعى .. أغمض عينيه ليريه ، بينما ترك الرائحة الذكية تغزو حواسه و تسيطر عليها بأستسلام لذيذ

فتح عينيه و أفاق سريعاً من أحلامه .. لا يعلم لما نظر حوله بوجل .. ربما خوفاً من أن يلمحه أحد و يقرأ أفكاره التي تفضحها نظراته الجائعة .. تماسك و أبتعد قليلاً عن الطعام .. عندما كان يعمل أجيراً في الحقول كان يأكل

أحياناً مما تنبته الأرض .. و يشرب من مياه التربة .. أما الآن في حديقة
كتلك ، فلا يوجد شئ سوى الأزهار .. تمنى لو كانت طعاماً فيشبع جوعه
الذي يستعر من الأمس حين بات بلا طعام .. أغمض عينيه يحلم باليوم الذي
يقبض فيه أول راتب من عمله الجديد .. عوض أخبره أن راتبه سيكون أكبر
مقارنة بما كان يحصل عليه من قبل .. سيشتري أولاً طعاماً .. أنواع كثيرة
غير التي اعتاد أكلها .. كتلك الموجودة على الصينية أمام الكلب و التي لا
يعرف أسمائها و لكن أشكالها تغريه .. و سيلتهمها حتى يتخمد معدته ..
أفاق من تأملاته على الكلب و هو يتحرك قليلاً بعيداً عن الطعام .. ثم يجلس
على الحشائش مرة أخرى بتكاسل .. نظر للكلب في حيرة .. يا لغباء هذا
الكائن .. كيف يترك طعاماً بتلك الوفرة

نظر حوله في تردد .. لم يكن هناك أحد في الحديقة سواه .. و الأشجار
المزروعة أمام الفيلا تمنع من يقف في نوافذ البيت من رؤية ما يدور في تلك
البقعة من الحديقة .. و كأن الأشجار تتواطئ معه .. بدأت خواطر غريزية
تتوارد على ذهنه تدريجياً .. ثم تحته و تحركه .. بطيئاً و لكن بثبات
يقترّب من الطعام .. أغمض عينيه بتلذذ و هو يحلم بأن الطعام له .. ثم
فتحهما بسرعة .. لماذا يحلم و هو في عالم الواقع الآن ، و حلمه على بعد
خطوات منه ، بل و في متناول يده .. أقترّب أكثر من الطعام بتردد .. سال

لعابه .. وجد نفسه يمد يده إلى صحن الطعام بخوف .. ألتقط قطعة صغيرة من اللحم و رماها في فمه بسرعة و كأنه يتخلص منها .. بدأ يلوكها بسرعة شديدة و قد تركزت حواسه كلها في عيناها و هو يتابع كل حركة في الحديقة أمامه .. لم يشعر بطعم القطعة الأولى و أن أحس بها تستقر في معدته الخاوية .. مسح فمه بباطن يده ليخفى آثار الجريمة .. تطلع حوله .. كان الكلب ما زال في مكانه مسترخياً يطالع ما يحدث بلا حراك .. و الهدوء يفرض سيطرته المعتادة على المكان .. مرت لحظات و هو يقف ساكناً في مكانه لا يتحرك .. و عندما شعر ببعض الأطمئنان .. عاد للنظر مرة أخرى إلى وليمته .. و بسرعة و لكن تلك المرة بثبات أكثر ألتقط قطعة ثم أخرى .. أحس بالطعم اللذيذ يحتاج معدته .. بينما سرى خدر لذيذ في عروقه بعد أن بدأ يشبع بالطعام .. كان يتوقف كل برهة ليراقب المكان حوله .. ثم يلتهم تلك الأنواع أمامه التي يراها لأول مرة و إن أعجبه طعمها .. في دقائق معدودة كان قد أنهى الطعام و أسرع يغسل يده و يمسح ملابسه بعد أن أنزلق بعض الطعام عليها .. مرت بعدها ساعة قبل أن يأتى أحد الخدم ليرفع صينية الطعام

دقائق ثقيلة مرت عليه .. بدأ يستعيد بعدها ببطء قدرته على التفكير .. شعر بالذنب .. و بمدى غيائه أيضاً .. من المؤكد أنهم أدركوا ما حدث الآن ..

فليس من المعقول أن يلتهم الكلب كل هذا الكم من الطعام بمفرده .. كان ينبغي أن لا يندفع بهذا الشكل ، أن يترك على الأقل بعض الطعام بدلاً من ألتهامه كله .. وبدأ يلوم نفسه و يحاسبها بقسوة .. سيكتشفون أمره سريعاً لا محالة .. و من الأرجح أنهم سيطرّدونه .. وربما دفعوه إلى السجن .. فمن أين له بثمن ما أكله .. مر الوقت بطيئاً و هو يقف حائراً يتساءل بقلق عن مصيره .. لمح بعدها السيدة تخرج للنزهة في الحديقة .. و رآها تقترب منه .. بدأ قلبه ينبض بعنف .. تهيأ تماماً للأسوأ ، و لكن الغريب حقاً أن السيدة شكرته لأنه أعتنى بالكلب في غيابها .. كانت سعيدة بأن الكلب أنهى طعامه كله ، حتى أنها منحته بعض النقود و هى تستمر في مداعبة كلبها برفق .. أنصرفت بعدها بينما يتبعها الكلب بنشاط

عندما عاد لبيته .. أسرع ليغسل وجهه .. وقع بصره دون وعى على صورته في المرآة .. وجهه متورداً على غير العادة .. بينما عيناه تلمعان ببريق الصحة .. لأول مرة يرى نفسه بهذا الشكل .. و أحس بالقوة تسرى في عروقه .. قوة لم يعهدها في نفسه من قبل .. يكاد يشعر أنه أنسان جديد بعد أن أمتلأت معدته اليوم و لأول مرة بكل ذلك الكم من الطعام الدسم .. نام تلك الليلة بعمق لم يختبره من قبل .. و في الصباح عاد للعمل بكل نشاط

مر عليه يومان على نفس المنوال .. كانت السيدة تأتى بكلبها كل يوم عند

أنتصاف النهار تقريباً يتبعها الخادم بالطعام ، و تترك له مهمة الاعتناء بالكلب .. في الواقع لم يكن الكلب يأكل إلا القليل من الطعام بينما يتولى عبد الباسط مهمة القضاء على باقى الطعام بمفرده بنجاح بعد أن اطمأن أن لا أحد يشك فيه .. و بدأ عبدالباسط يسمع من عوض حكايات غريبة عن حب السيدة الشديد للكلاب .. خاصة هذا الكلب الشرس الذي مكث معها لسنوات طويلة .. كانت تحب الكلاب لدرجة أنها لا تكاد تفارقهم عند ذهابها للتنزه .. و تحرص على اصطحابهم للطبيب أسبوعياً بانتظام للأطمئنان عليهم .. بل تهوى أن تطعم كلابها بنفسها أحياناً .. و تسأل عبد الباسط باستغراب لما لم تقوم سيدته بأطعام كلبها الشرس بنفسها كما اعتادت

و بدأ عبد الباسط يصدق تلك الحكايات .. كان يراها تقضى وقتاً طويلاً و هى تلاعب الكلب في الحديقة .. و لشد ما أذهله أن يراها و هى تداعبه بكل حنان .. بل أنه كان يلاحظ أن عيناها تمتلئان بالدموع و يكسو وجهها حزن واضح عندما تغادر الكلب لبعض لأعمالها .. و عندما تعود تبادر بالسؤال عنه بشغف .. و أنتابته دهشة من سلوكياتها ، و حسداً على الكلب .. يا له من محظوظ هذا الكائن ليحظى بكل هذا الحب .. و الأهم بكل ذلك الطعام الذي يقدم له يومياً بلا حساب

مرت ثلاثة أيام سريعاً عليه .. في اليوم الرابع لم تخرج السيدة للحديقة

طوال النهار على غير المألوف فتساءل عن السبب .. مر به عوض فأنتهز الفرصة لتبادل الحديث معه كعادته .. سأله عن السيدة .. أسند عوض ظهره على أحد الأشجار قبل أن يجيب ببطء .. أخبره عوض أن السيدة حزينة لأن كلبها العزيز سيغادرها اليوم .. في الواقع كان الكلب قد عقر أحد الأشخاص أمام بيتها في المدينة من عدة أيام .. و أتضح من الكشف عليه أنه مصاب بعدوى خطيرة لا أمل في علاجها .. وقد يشكل خطراً على حياة الناس .. و لهذا السبب أبلغها الطبيب بصرامة بضرورة قتل الكلب قبل أن يتمكن المرض منه .. و لأن السيدة تحب كلبها .. بكثت كثيراً و لكنها لم تجد مناصاً من تنفيذ أمره .. تملكته حيرة كيف يتم الأمر دون أن يقاسى أى معاناة .. كانت مشفقة أن يشعر كلبها بأى ألم .. لن تتحمل رؤيته يعانى .. لهذا جاءت به إلى هنا .. و اليوم سيتم التخلص منه .. و لذلك فهى متوترة الأعصاب و لا تستطيع الخروج للحديقة لرؤية كلبها العزيز

فهم عبدالباسط الآن لماذا كانت عيناها تلمعان بالدموع كلما فارقت كلبها .. و بدأ عبد الباسط يشعر بالشفقة تجاه الكلب .. صحيح أنه لم يمكث معه فترة طويلة ، و ما زال يخاف منه .. و لكنه كان كلباً مسالماً على أى حال ، كما أنه كان يترك له كل طعامه ليأكله .. و شعر بحزن أكبر لأنه سيحرم من الطعام الوفير الذي اعتاده طوال الفترة الأخيرة

دار سؤال في رأسه ، سأل عوض عن كيفية التخلص من الكلب .. رد
عوض بلا اهتمام:

-لا تقلق .. كلها ساعات قليلة و يموت .. لن يشعر بأى ألم .. فمن حسن
الحظ أن شهية الكلب كانت مفتوحة طوال الثلاثة أيام الماضية .. سأرتاح من
هذا الكلب على أى حال فلم يكن يطيقنى

لم يسمع عبد الباسط الجملة الأخيرة .. توقف ذهنه عند الجملة التي
سبقتها .. وجد نفسه يسأل عوض و كأنه يحدث نفسه بصوت عال : و ما
علاقة شهية الكلب المفتوحة للطعام في الفترة الأخيرة .. بموته ؟

قال عوض بلا مبالاة و هو يتناول تفاحة من داخل جيبيه و يقضمها :
السيدة لم تتحمل فكرة أن ترى كلبها يضرب بالرصاص .. أو يموت بأى
وسيلة مؤلمة .. و لهذا أتفقت مع الطبيب على أن تضع له السم في الطعام
يوميًا .. سيموت برفق تدريجياً دون أن يتألم ..

تنهد بأرتياح بعدها مضيئاً : من حسن الحظ أنه كان يلتهم الطعام
ألتهاماً .. سيعجل هذا بحدوث الأمر .. يا له من كلب مزعج .. لا أصدق أننا
أخيراً سنتخلص منه

الخبير

أستقبلته بالأحضان .. فقد مضت فترة طويلة حقاً منذ تقابلنا آخر مرة .. في الواقع تفاجئت بزيارته لى في مكان عملى .. فصديقى مراد لم يقم بهذا من قبل .. رحبت به وأنا أحاول أخفاء دهشتى .. جلسنا بعدها نتبادل الأحاديث و نتذكر ماضيها منذ كنا زملاء في مدرسة واحدة .. عندما أنتهى الكلام المعتاد بيننا .. سادت فترة صمت قطعها و هو يتناول خطاب من حافظة أوراقه .. خطاب مرسل بالتأكيد من مصلحة الضرائب التي أعمل بها كما أستطعت أن أميز من شكل الأختام على غلافه .. وعلى الفور أدركت سبب زيارته .. سلمنى أياه فتفحصته بلا تعليق .. تنهد طويلاً ثم أندفع يشكو لى من أحد زملائى مأمورى الضرائب الذي بالغ و وضع عليه تقديرات جرافية - على حسب تعبيره - بناء على دخله .. طلب منى أن أراجع زميلى سعياً لحل المشكلة بشكل ودى .. سألته لماذا لم يتقدم بشكوى طالما الحق بجانبه .. قال أن الشكاوى غالباً يكون مصيرها الأهمال و لهذا لجأ إلى .. تلفت حوله بحذر .. ثم دنا منى قائلاً بصوت هامس " أنا متعشم

فيك .. وعلى استعداد لأي شئ تطلبه "

تجاهلت تلميحه غير المباشر و لم أغضب منه .. كنت أعلم طبيعته جيداً .. أعتاد مراد أن يقضى مصالحه بالرشاوى و الأكراميات .. ربما بسبب طبيعة عمله .. مراد صحفى ناجح في أحد الصحف الكبرى .. أقرأ له من حين لآخر .. أعلم أنه يكسب كثيراً .. فيصرف النظر عن راتبه من الجريدة .. تصرف له مكافآت ضخمة إذا نجح في عمل حوار صحفى حصري أو خطبة صحفية .. أو تمكن من نشر تحقيق جريء أو قصة غريبة .. يستخدم هذه الأساليب كثيراً ليحصل على أى خبر مثير أو فضيحة تثير الاهتمام .. كنت متأكد أنه حاول رشوة زميلي و لكنه فشل .. و لهذا لجأ إلى .. وعدته أن أبحث موضوعه .. و إن لم أعد به بتخفيض الضرائب المستحقة عليه .. شكرنى بشدة .. سألته عن أحواله و أحوال أسرته .. ثم تطرق الأمر إلى السؤال عن عمله .. تنهد و سكت قليلاً .. ثم أندفع يشكو لى : " تصدق من أكثر من أسبوع مش لاقى حاجة أكتبها .. و كل يوم رئيس التحرير يتصل بى يستعجلنى .. و في الآخر يفرضوا على ضرايب قد راتبى .. يرضيك كده "

ضحكت .. تذكرت شيئاً فجأة .. كنت أعلم أنه يبحث عن قصة جديدة .. قلت له بسرعة : " و الله أنت ابن حلال .. أنا عندى ليك قصة ممثلة " .. بدا بعض الاهتمام على وجهه .. أعتدل في مقعده .. تابعت : " تصور أن رئيس

المصلحة عندنا أتحتجز على عربيته من يومين .. ماقدرش يدفع باقى أقساطها .. تخيل .. رئيس مصلحة ضرائب في محافظة كبيرة طول عمره بيع تحت أيده أصحاب الملايين .. وفنانين مشهورين وكبار رجال الدولة .. هو اللي كان بيقدر الضرائب عليهم بنفسه أحياناً .. أشتري عربية جديدة بدل العربية القديمة اللي طلعت عينه و بقت خردة .. راح لمعرض السيارات و أختار عربية صغيرة على قده .. صاحب المعرض أستغرب لما عرف أنه عايز يشتريها بالتقسيط .. أصله كان عميل عنده .. مقدرش يدفع غير قسط واحد .. و بعدين بنته أتخطبت .. و مصاريف الجواز قطمت صهره .. و كمان مراته المسكينة .. مريضة بالكلى و بتعمل غسيل كلى مرتين في الأسبوع .. خمس شهور مش قادر يدفع أقساط العربية .. عمره ما كان يتخيل أن صاحب المعرض يجيب الشرطة و يسحب منه العربية و هو في الشغل .. تصور الموقف .. كانت فضيحة ليه .. و قدام كل الموظفين "

كان زميلي ينصت و لم يبدا كثير من الأهتمام على وجهه .. أردفت بحماس : " راجل زى ده المفروض يتعمله تمثال لشرفه و أمانته .. و الصحافة تكتب قصته .. و البركة فيك .. تعرف الناس أن الدنيا لسه بخير .. راجل أمين "

قال صديقى معقباً : " فعلاً .. عملة نادرة "

أكملت بحماس أكبر : غيره عمل الملايين .. و من مراكز و مناصب أقل
من منصبه .. تعرف أن النائب بتاعه أتمسك أمبارح بس .. و هو بياخد
رشوة .. تصدق .. طلب من تاجر كبير رشوة علشان يخفض الضرائب عليه ..
لكن التاجر بلغ عنه .. سجله بالصوت و هو بياخد الرشوة و قبضوا عليه .. و
هيتعرض على النيابة النهاردة .. بيقولوا أن عنده أملاك كثيرة .. عمارة هنا
و شالية في الأسكندرية .. ولاده كانوا في أعلى مدارس اللغات .. و عربيته
تمنها قد راتبه في عشر سنين .. لكن رئيس المصلحة بعد خمسة و عشرين
سنة خدمة لحد النهاردة ساكن في بيت بالإيجار هو و أولاده .. مقدرش حتى
يشترى شقة بأسمه .. و عمره ما سافر مصيف .. و أولاده أتعلّموا في مدارس
حكومية .. و فوق ده كله راجل زى السكر و عنده أخلاص في العمل .. أحياناً
بيفضل شغال في المصلحة لحد المغرب .. يراجع كل كبيرة و صغيرة بنفسه
علشان يتأكد أن ما فيش عميل أتظلم .. و علشان كدة مصلحتنا من أفضل
مصالح الضرائب على مستوى الدولة .. و عمره ما طلب زيادة راتب .. أيه
رأيك تعمل مقابلة معاه .. و لا تحب تعرف تفاصيل أكثر عنه "

أعتدل زميلي في جلسته و قد بان عليه التركيز فيما قلته .. شكرنى ثم
نهض من مكانه .. قال أنه سيعرف التفاصيل بطريقته .. أستاذن بعدها فجأة
في الأنصراف .. و غادر المكتب بسرعة

أنشغلت بعدها في عملى و رجعت للبيت مرهقاً .. نسيت الموضوع تماماً
وسط زحمة الأحداث اليومية .. في الصباح توجهت للعمل مبكراً و أشتريت
الجرائد كعادتى و أنا في طريقى إلى هناك .. فتحت الصفحة الأولى و تصفحت
العناوين الرئيسية بسرعة .. كان هناك تقديم عن تحقيق صحفى هام في
الصفحة الثانية .. قرأت باقى العناوين الرئيسة ثم فتحت الصفحة الثانية ..
أستعت عينائى من الدهشة و أنا أقرأ الخبر الذي توسط عنوانه الصفحة

حاميتها .. حراميتها

ضبط نائب رئيس مصلحة ضرائب متلبساً و هو يقبض رشوة

و تحت الخبر عدة عناوين فرعية قرأت منها

النائب أستغل منصبه .. و ثروته تقدر بالملايين

من يوقف مسلسل الفساد الذي أنتشر في تلك المؤسسة و طال كبيرها و

صغيرها

تسمرت في مكانى و واصلت القراءة .. كان التحقيق يتحدث بأسهاب عن

النائب المقبوض عليه و يعرض بعض فضائحه بالأضافة إلى نشر صورته له و

هو خارج من تحقيق النيابة .. و يتحدث بشكل غير مباشر عن فساد منظم

لكل الموظفين في المصلحة .. و تلميحات على فساد رئيس المصلحة أو على الأقل

تواطئه مع ذلك الفساد و أستغلاله لمنصبه .. و مطالبات للمسؤولين بسرعة

التحرك وفتح تحقيق عاجل بعد انتشار التجاوزات في المصلحة بشكل كبير مع الحرص على سرعة نشر نتائج التحقيق للجمهور .. كان التحقيق على صفحة كاملة .. ورغم صدمتي مما قرأته ، و لكن ما لفت نظري حقاً في المقال هو أمضاء كاتبه في نهايته .. كان موقعاً بأسم ليس بالغريب عنى .. أسم يبدو مألوفاً بالتأكيد لدى .. كان ممهوراً بتوقيع صديقى مراد

التبج

كنت أتردد كثيراً على مكتبة قديمة ضخمة في وسط البلد لشراء احتياجاتي من الكتب .. جذبني إليها عدة عوامل .. أولها هو منظر تلك الرفوف الكبيرة الممتلئة بالكتب و الذي لم أجد له مثيلاً في غيرها من المكتبات الصغيرة الحديثة .. كان المجال هنا أوسع لأختيار ما أريده .. ولم يكن صاحب المكتبة يمانع أن أتنقل بين جوانبها .. أقلب بين الكتب و أطالع محتوياتها حتى أعثر على ضالتي .. كما أنه يساعدني إذا سألته .. يأتي لي بأي كتاب أطلبه مهما كان نادراً .. لفت أنتباهي أيضاً أنه يحتفظ بموسوعة كبيرة من الكتب النادرة حقاً لا أعلم كيف جمعها و لا تتوافر إلا لديه .. أما الدافع الرئيسي لتفضيلي المكان عن غيره .. هو أن أسعار الكتب كانت مناسبة لي نظراً لأن معظمها قديم و مستعمل

توطدت العلاقة بيني و بين صاحب المكتبة نتيجة لكثرة ترددي عليها .. عجوز نحيل أشيب الشعر يرتدى نظارة ضخمة لا تخفى نظراته الحادة .. قليل الكلام نادر الابتسام و لكنه يحافظ على صلة قوية بينه و بين زبائنه ..

يحفظ كل شئ عن زبونه كما يحفظ مكتبته .. أغيب أحياناً لأشهر ثم أعود إليه فأجده ما زال متذكراً لأسم آخر كتاب أشتريته وأتفاجئ به يسألني عن رأيي فيه .. يدهشني هذا الكهل دوماً بذاكرته القوية

عندما علم بشغفي بكتب المغامرات و الرعب أهداني هذا الكتاب .. و على شفتيه أبتسامة مبهمه .. تناولت الكتاب بشوق .. أحب قراءة كل القصص بصفة عامة .. و لكنى أهوى تلك التي تدور حول عالم السحر و الأساطير بشكل خاص .. أو عالم الرعب الغامض .. أتابع تلك النوعية من القصص بشغف ، وأحتفظ بمكتبة صغيرة منها داخل بيتي .. لا أعلم سر تعلقى الدائم بها.. ربما بدأ الأمر معى منذ كنت صغيراً أهوى مطالعة صفحات الحوادث المنتشرة في الجرائد اليومية التي يحضرها أبى و أترقبها بلهفة .. ثم أنتقل غرامى إلى كتب الجيب الرخيصة بأحداثها المليئة بالأشارة المفرطة التي تناسب خيال المراهقين .. و تدرجت على قراءتها حتى أصبحت أحتفظ بمجموعات كبيرة منها و بدأت أتعرف بعدها على أشهر أعمال كتاب الرعب و أسعى بانتظام لشراءها .. كنت في الفترة الأخيرة أتردد على المكتبة بانتظام .. لاحظ صاحب المكتبة شغفى بتلك النوعية من الكتب و عندما سألتني لم أنكر عشقى لها .. عبرت عن أستيايى من عدم العثور على أى كتاب جيد حقاً في الفترة الأخيرة .. الكتب الجديدة تخلو من المتعة التي أبحث عنها ..

قصص الرعب العادية لم تعد أحداثها تثيرنى .. أو أستمتع بقراءتها
كالسابق .. عبرت عن خيبة أملى من الأصدارت الحديثة التي لا تتميز
أحداثها بالأثارة الكافية التي أترقبها .. لمحت في عينيه بريق خاص و هو
يسمعنى .. طلب منى الانتظار ثم غاب في الداخل للحظات .. رجع بعدها و
ناولنى كتاب متوسط الحجم يعلوه التراب

تناولت الكتاب بين يدى بلهفة .. أزحت الغبار المتراكم على غلافه ..
جذبنى شكل الغلاف من الوهلة الأولى .. قلبت في صفحاته .. تأملت الخط
المكتوب به .. يبدو كتاباً قديماً بالتأكيد من صفحاته الصفراء و نوع الخط و
أسلوب طباعته الذي لم يعد مستخدماً في الكتب الحديثة .. رأيت أبتسامته
المبهمة و هو يخبرنى بثقة أن الكتاب سيعجبنى .. كانت أول مرة أراه
مبتسماً .. سألته عن ثمنه .. لم يرد .. طلب منى أن أقرأه أولاً فإذا نال
أعجابه جئت و دفعت ثمنه .. لم يعتاد فعل هذا من قبل .. هل كان كرم منه
لأنى زبونه القديم .. شكرته على أى حال .. تناولت الكتاب و مضيت إلى
بيتى مدفوعاً بالشوق لقراءته .. بينما وقف يرمقنى بصمت أمام مكتبته و أنا
أغادر

عدت للبيت متأخراً بعد سهرة مع بعض أصدقائى .. غيرت ملابسى ..
شعرت ببرودة الجو .. أرتديت بيجامتى الصوف و فوقها معطف منزلى داكن

اللون فسرى إلى جسدى بعض الدفء .. هيئت نفسى تماماً لمغامرة قصصية جديدة .. أطفأت النور .. غرقت الغرفة في الظلام إلا من أضاءة خفيفة تأتي من لمبة أنارة صغيرة في السقف .. تأكدت من أغلاق النوافذ جيداً .. أرتحت للصمت التام من حولى .. أغلقت هاتفى حتى لا يزعجنى أحد .. تمددت على الكرسي الأسود الضخم .. نظرت للساعة .. كان الوقت متأخراً .. قبل منتصف الليل بقليل .. الوقت المثالى لقراءة القصة في جو من السكون والهدوء التام .. أعشق تهيئة جو خاص من الصمت و السكون قبل قراءة أى قصة رعب جديدة .. جو يتناسب معها حتى أستطيع الاندماج و الأستمتاع بها أكثر .. تفقد قصص الرعب لذتها و أثارتها إذا كان هناك ضوضاء حوذك .. أو سمحت لأحد بمشاركتك المكان

أمسكت الكتاب و قلبت فيه .. كتاب متوسط الحجم تزيد صفحاته عن المائة .. لاحظت أن بضع صفحات قليلة في نهاية الكتاب تركت فارغة .. بلا سطر واحد .. لم أهتم .. ربما خطأ مطبعى

بدأت القراءة .. تبدأ القصة بمقدمة شيقة .. الأحداث تتوالى ببطء لكنها مشوقة .. جذبتنى الرواية تماماً من البداية .. شخصيات مرسومة بعناية .. و تسلسل أحداث مثير .. نسيت كل ما حولى تماماً .. لم يخيب صاحب المكتبة ظنى و أهدانى قصة ممتعة حقاً .. لم أشعر بالوقت .. مرت ساعة

تقريباً وأنا أقرأ بنهم .. ألتهم الصفحات ببطء و تلذذ .. أنتهيت من الفصول الأربعة الأولى .. أحسست بأرهاق بسيط في عيني .. و تصلب في جسدى .. قمت لأعداد كوب من الشاى الساخن .. خاصة و أن البرد بدأ يتسلل إلى أطرافى .. غبت لدقائق .. أحسست بعدها بنشاط غير عادى .. و رجعت لمتابعة القراءة مرة أخرى بحماس أكبر

سرعان ما اندمجت مرة أخرى .. خط الأحداث يزداد غموضاً و إثارة .. حواسى كلها تعيش أحداث الرواية .. يجذبني تعاطف خاص مع بطل الرواية لا أعلم سبباً له .. عادة لا أتعاطف مع شخصيات قصص الرعب .. بل تتملكنى أحياناً رغبة سادية في رؤية معاناتهم و الاستمتاع بالنهايات المؤلمة لهم .. قصص الرعب لا تناسبها سوى النهايات المأساوية بل و تزيد مصداقيتها و متعتها .. تشدنى أحداث الرواية إلى عالم آخر .. أتابع بقلق السقوط المتتالى لأبطال الرواية واحداً تلو الآخر أمام شبح غامض يقضى على كل من يقف في طريقه بلا رحمة .. أركز مع محاولات البطل الفاشلة للتخلص منه أو حتى الهرب بلا فائدة .. وصلت إلى الفصل الأخير سريعاً .. أكبر فصول الكتاب

أرحت عيني قليلاً .. نظرت للساعة .. كانت تخطت الثانية صباحاً .. تأخر الوقت و لكن لن يطاوعنى النوم قبل إنهاء القصة .. بدأت في الفصل

الأخير .. أندمجت في أحداثه بشكل أكبر من باقى الفصول .. تزداد الأحداث
أثارة .. تركزت حواسي تماماً على سطور الرواية .. لم أعد أنتبه لأى شئ مما
حولى .. لم أسمع صوت النسيم و هو يداعب شباك النافذة المغلق .. أو
خشخشة بعض أوراق الشجر الملقاة بأهمال فوق حديقة المنزل .. لم أسمع
صوت الثلاجة الذي يأتى أعلى من المعتاد .. أو ألاحظ تجمد أطرافى من البرد
رغم أغلاقى لكل منافذ الهواء .. حتى كوب الشاى الساخن الذي أحضرته
أهملته حتى أصبح بارداً .. كنت أترقب نهاية الرواية و معرفة مصير
البطل .. أقتربت من نهاية القصة و المطاردة مستمرة .. أقرأ بسرعة و أكاد
ألتهم الأسطر ألتهاماً .. البطل يظن أنه نجح في الفرار و لكن الشيخ يعثر
عليه .. قاربت على الوصول لنهاية الفصل الأخير و الرواية كلها .. قبل أن
تقع عيناي على تلك الأسطر في نهاية الصفحة التي أقرأها

"تسلل ببطء شديد نحوه ، بدأ الشيخ يدنو من الشخص الجالس الذي لم
يشعر بوجوده ، أخيراً عثر عليه بعد طول مطاردة ، أقترب منه بحذر ، لم
ينتبه له ، مستغرقاً في القراءة ، مسترخياً على كرسيه الوثير ذو اللون
الأسود ، مرتدياً معطفاً من الصوف لا يحميه من برودة الجو و أمامه يستقر
كوب الشاى الذي فقد حرارته . لا يسمع سوى صوت تنفسه مصحوباً أحياناً
بصوت هدير مروحة الثلاجة العالى ، يقلب في كتاب قديم أمامه على ضوء

خافت ، أقرب منه ببطء و هو يستمتع برؤية آخر لحظات ضحيته التاليه ،
و "

أنتهت الصفحة .. قلبتها بسرعة .. أصطدمت برؤية الصفحات البيضاء
في نهاية الكتاب

الضريبة

علمتني الحياة أن لكل شئ ضريبة .. وأنها مثل تاجر حريص لا يمنح لشخص شيئاً دون مقابل .. وبدأت في هذا الأيمان من صغرى .. كانت جدتي التي علمتها تجارب الحياة تقول لى دائماً أن الإنسان يدفع ثمن لكل نجاح يحققه في الحياة .. و الثمن يختلف من شخص لآخر .. و من نجاح لآخر .. و لم أكن أفهم كلامها في البداية لكننى بدأت أستوعب معناه بل و أؤمن به مبكراً .. أتذكر أول تجاربى مع معادلة الحياة بدأت في سن مبكرة عندما نجحت بتفوق في مرحلتى الأعدادية وللمرة الأولى جاء ترتيبى الأول على مدرستى .. بعدها تعرضت لحادث و أنكسرت قدمى .. وقضيت أجازتى كلها عاجزاً عن الحركة مستلقياً على سريرى أتطلع بحسرة إلى ساقى المحاطة بالجبس الأبيض بينما زملائى يلهون بمرح في الخارج .. وعندما نجحت بعدها بسنوات قليلة و ألتحقت بالكلية التي أحبها و طالما حلمت بها .. خسرت أفضل أصدقائى بعد خلاف طارئ و أنتقلت للسكن بعيداً عن أهلى

و هكذا مضى بى الزمن و أنا أدفع ضريبة كل نجاح أحققه .. و الدنيا علمتنى أنها ليست كريمة لتهبى شئ دون مقابل .. و تعودت أن أتلفت حولى حذراً كلما حققت نجاحاً .. فما أن أنهيت دراستى الجامعية و عثرت بعدها بأسابيع قليلة فقط على عمل مميز في شركة مرموقة و براتب عالى لا يحلم به زملائى .. حتى تفاجئنا بقرار إزالة للبيت القديم المتهالك الذي يأوينى أنا و عائلتى ، و اضطرت الأسرة إلى الانتقال من بيتنا القديم الرحب إلى شقة صغيرة متواضعة

أستلمت عملى بعد أنتقالنا و سارت الحياة بى بطيئة .. أنشغلت بعملى لفترة ليست بالقصيرة حتى تعرفت في بيتنا الجديد على أبنة الجيران بالمصادفة و تعلق بها فغيرت حياتى .. تبادلنا الحب فلم تكد تمضى بضعة أشهر حتى قررت التقدم لخطبتها .. ترددت كثيراً في البداية خاصة أنى لا أملك من حطام الدنيا أى شئ يذكر إلا أن أهلها رحبوا بى رغم قلة إمكانياتى وقتها .. دفعتنى تلك الخطوة للأجتهاد أكثر في العمل لتحقيق النجاح الذي حلمت يوماً به .. واصلت العمل ليلاً و نهاراً بلا راحة لتأمين مستقبل أفضل لها .. أهملت صحتى كثيراً حتى تفاجئت يوماً بآلام هائلة تهاجمنى .. خضعت لعملية عاجلة لأستئصال الزائدة التي أهملت و تجاهلت بوادر التهابها الأولى ، و اضطرت لترك عملى لفترة طويلة بعد الجراحة كى

أستعيد صحتى مرة أخرى .. و قبل أنتهاء فترة النقاهة تفاجئت بأستغناء الشركة عن خدماتى نتيجة لغيابى الطويل .. و خسرت العمل بعد أشهر قليلة فقط من خطبتى .. بحثت كثيراً عن عمل آخر مناسب بلا جدوى .. هدانى تفكيرى بدافع اليأس إلى البحث عن فرصة عمل بالخارج رغم رفضى لتلك الفكرة من قبل و تخوفى الشديد منها .. تواصلت مع عمى الذى يعمل من فترة طويلة بأحد الدول العربية .. و مرت شهور حتى كدت أياس أنتقلت خلالها بين عدة وظائف مؤقتة قبل أن ينجح عمى أخيراً فى الحصول على عقد عمل مميز لى .. طرت فرحاً بالعقد .. و لكنى فى المقابل أضطرت إلى تأجيل زفافى حتى تستقر أوضاعى فى الخارج .. و سافرت و صورة خطيبتى لا تكاد تفارق ذهنى

قضيت عامان فى الغربية و أحسست أنهما دهماً كاملاً بعيداً عنها .. وفى أول أجازة لى تم الزفاف .. أصطحبت زوجتى بعد أنتهاء الأجازة للخارج .. شجعنى زواجى على الأجتهد أكثر فى العمل مع عدم أهمال صحتى بعد أن تعلمت الدرس من تجربتى الأولى .. حققت نجاحاً كبيراً بعد أن أستقرت أحوالى .. و نلت بسرعة ترقية حسدنى عليها زملائى .. و بدأت بوادر الحمل تظهر عند زوجتى .. عشت وقتها حقاً أسعد أيام عمرى .. و ظننت واهماً أن الدنيا أسقطتنى من حساباتها الدقيقة أخيراً .. قبل أن أستيقظ يوماً

فزعاً على صراخ زوجتى و تفاجئت بها و هى تنزف ، نقلتها بسرعة إلى المستشفى .. و هناك أجروا لها عملية عاجلة خرج طفلى الأول منها للعالم بلا حياة .. صدمتنى التجربة .. و بكيت بألم ربما لأول مرة في حياتى .. و لم يخفف عنى إلا أطمئنانى على سلامة زوجتى في النهاية .. و هكذا توالى بعدها سنوات الغربة .. و لم تغير الدنيا عاداتها الأصيلة معى .. معادلة الحياة وقانونها الثابت الذي لا يتغير .. كل لحظة سعادة يقابلها لحظة ألم .. وكلما حققت نجاحاً دفعت ضريبته .. عاجلاً أو آجلاً أدفعه .. فعندما أنجبت لى زوجتى أخيراً أبنى الوحيد .. خسرت مبلغاً كبيراً من المال في المضاربة بالبورصة .. و عندما عدت للوطن بعد فترة غياب طويلة .. و أفتتحت شركتى الخاصة و نجحت نجاحاً كبيراً .. رحلت والدتى العزيزة و هكذا سارت بى الأيام .. و تعودت أن أكسب شيئاً فأخسر شيئاً آخر أحبه .. و كل مكسب في حياتى له ضريبة أؤديها مرغماً .. أحياناً تكون الضريبة بسيطة و سهلة .. كأن ينجح أبنى فيخسر فريقى المفضل مباراة هامة .. أو أن أنجح في عقد صفقة مهمة فيظهر خلاف بسيط و طارئ بينى و بين زوجتى ، أو أتعرض وقتها ربما لوعكة صحية مفاجئة .. و أحياناً تكون الضريبة باهظة لا أستطيع تحمل ألها .. فلا أنسى يوم تخرج أبنى من كليته .. وبدأت أراه شاباً يافعاً أمامى يتلمس خطواته الأولى على طريق حياته

العملية .. حتى رحلت زوجتى الحبيبة التي عاشت معى كل متاعب الحياة
قبل أفراحها

كنت قد أقتربت من الستين .. وبدأت قواى تضعف .. وأصبح للحياة
طعم مختلف بعد وفاة زوجتى .. بدأت أشعر بالوحدة و الضعف بدونها .. و
أصبح كل أهتماى فى الحياة منصباً على إبنى

وتزوج أبنى أخيراً وأكتملت فرحتى به .. و تمت مراسم الزفاف على
عروسته بسرعة .. أنتظرت بلهفة أنباء عن قدوم حفيدى الذى لم أعد أحلم إلا
به .. و لكن أشهر طويلة أنقضت دون جديد .. و رغم تأكيد الأطباء على
سلامة كل منهما .. إلا أن أشهر توالى سريعاً دون أن تلوح فى الأفق أى بادرة
أمل حتى أكتملت ثلاث سنوات .. و تفاجئت يوماً بزيارة من أبنى يحمل إلى
خبر حمل زوجته أخيراً بحماس .. شعرت أن الحياة تعود إلي من جديد ..
و أحسست بدماء جديدة تسرى فى عروقى .. تخيلت نفسى و قد أصبحت جداً
أخيراً .. اللحظة التى لم أعد أشتاق إلا إليها .. و توالى الأيام بعدها سريعة
و أنا فى غفلة عن حسابها قبل أن أتلقى صباح أحد الأيام اتصالاً من أبنى
يبلغنى فيه أن زوجته بالمستشفى .. هرعت إلى هناك بصحبة قلق يكاد يفتك
بأعصابى .. قابلت أبنى و هو يذرع المكان أمام باب غرفة العمليات بتوتر
واضح بينما ترتسم على وجهه كل علامات القلق و الخوف .. تحرك شعورى

بالشفقة نحوه .. حاولت طمأنته بلا فائدة .. كان في حالة يصعب معها تهدئته .. علمت منه بصعوبة أن زوجته تأخرت في غرفة العمليات و الطبيب أبلغه بأن الولادة متعسرة .. جلست بجواره أخفى توترى لا أدري كيف أتصرف .. مرت علينا الدقائق ثقيلة و أبني بجوارى في عالم آخر يحكمه القلق ، و حفيدى الذي اشتاق إليه دون أن أراه لا يعلم أحد مصيره .. و أنتابنى خوف أن تتكرر مأساتى مرة أخرى يوم أن جاء أول طفل لى بلا حياة .. نظرت إلى أبنى بخوف و قد غمرنى شعور بالعطف نحوه .. رجعت بذاكرتى للوراء و تذكرت يوم كنت في نفس موقفه .. آلمنى أن أقف عاجزاً ليس بأمكنى القيام بشئ لمساعدته .. وجدت نفسى أتجه للصلاة .. ظللت أدعو لأبنى كثيراً و عندما رجعت إليه أنتابنى شعور غريب بالراحة .. جلست و سرحت مع تيار أفكارى .. تراءت أمامى كل صور حياتى و مشاهد تلك الرحلة الطويلة من التجارب و الآلام حتى أنتهت بى إلى هنا .. و ربما .. للمرة الأولى بدأت أسترجع كل تجارب عمرى بمنظور آخر .. أراها الآن أمامى بزاوية جديدة لم أعهد لها في نفسى .. أتذكر عندما أنكسرت ساقى و قضيت أجازتى كلها في السرير .. لم يكن يسلىنى وقتها سوى الكتب التي يحضرها والدى .. و التي بدون ذلك الموقف ما قرأتها .. و هى التي شكلت ثقافتى وأفادتني كثيراً فيما بعد .. أتذكر الآن فقط عندما أنهار بيتى القديم

الواسع و أنتقلت الأسرة إلى السكن الجديد .. و رغم المعاناة بسبب ضيق السكن و تواضعه .. إلا أنى تعرفت هناك على زوجتى و شريكة عمرى .. كيف نسيت أن بسبب مرضى و فصلى من عملى ما فكرت في البحث عن عمل في الخارج و أنا الذي كنت أرفض هذه الفكرة من قبل ، و لو كتب لى أن أستمر في عملى القديم ما كونت ثروتى أو حققت نصف ما حققته في الغربة في سنوات قليلة .. و الدرس القاسى الذي تعلمته عندما جاء أبنى للعالم و خسرت مبلغاً كبيراً من المال في البورصة .. تعلمت منه أن لا أخطر بأموالى بعدها مرة أخرى إلا بعد دراسة و حساب دقيق ، و ربما كان هذا سبب نجاحى بعد ذلك .. تذكرت كل ذلك .. و تعجبت كيف لم أفكر يوماً بتلك الطريقة من قبل .. و أحسست أن الدنيا برغم أنها فرضت على ضرائب ثقيلة أحياناً .. و لكنها منحتنى في مقابلها ما هو أكثر قيمة .. و أن ضرائبها رغم فداحتها كانت أحياناً درساً لم أكن لأتعلمه إلا بهذه الطريقة..

أفقت من شرودى على صوت باب حجرة العمليات و هو يفتح و تندفع منه الممرضة .. ثم بعدها بصراخ طفل صغير يشق هدوء المستشفى .. و رأيت ملامح الفرح ترتسم على وجه أبنى عندما أسرع أحد الممرضات إليه تحمل البشارة بقدم أبنه .. طفرت الدموع من عينيه فرحاً و من عينى أيضاً .. و لكن كان علينا الانتظار قليلاً لرؤية الولد .. لم يستطع كلانا الجلوس .. ووقفت

بجوار أبني مترقباً تلك اللحظة التي أرى فيها حفيدي .. و عندها قفز إلى
ذهنى سؤال مفاجئ ألقني .. خاطر خبيث سيطر على عقلي لم أستطع دفعه
بعيداً .. ما الضريبة التي على أن أدفعها تلك المرة مقابل تحقيق هذا الحلم ..
هل سأخسر شخصاً قريباً .. هل سأعاني في صحتي أو في العمل .. أو يكتب
على ما هو أسوأ .. لا أعلم .. و أزعجني الخاطر كثيراً حتى طغى على
فرحتي .. مرت ساعة على انتظارنا قبل أن تسمح لنا الممرضة بالدخول أخيراً
لرؤية الطفل .. رأيت حفيدي نائماً بأستسلام بين يدي أمه .. قفز قلبي فرحاً
و أنا أطلع كتلة اللحم الحمراء العذبة تلك .. أحسست بقوة غريبة تسرى في
جسدي الواهن .. أحضنت الولد عالياً بين يدي برفق .. نظرت إلى وجهه
البرئ و قد بدأ جسمه يتحرك قليلاً ليفيق من نوم ساحر ، و يلقي بنظراته
الأولى البريئة على وجهي .. و تلاشت مع رؤيته بين ذراعي كل خواطري ..
في تلك اللحظة لم يعد يهمني الضريبة التي سأدفعها الآن من أجل رؤية هذا
الوجه الملائكي .. مستعد الآن لأي ضريبة مهما كانت بل و سأرحب بها
برحابة صدر .. وجدت نفسي بلا أرادة أرفع بصري إلى السماء و أنا أحتضن
حفيدي الصغير بين ذراعي .. و بدون وعي أبتسمت برضا

العدو

كانت تجلس في حديقة الفيلا و هى تداعب كلبها الضخم .. أستلقى الكلب على الحشائش بتكاسل بينما أستسلم تماماً لداعباتها .. هكذا أعتاد الجيران على رؤية هذا المشهد كل صباح منذ هبطت السيدة و كلبها على الحى .. تتناول أظفارها في الحديقة و هى تطالع الجرائد بينما يقبع الكلب تحت أقدامها .. أقترب بعض الأطفال من سور الحديقة .. وقف بعضهم يتطلع إلى الكلب بفضول .. زمجر الكلب قافزاً نحوهم فتراكضوا بعيداً عنه بخوف

كان من النادر حقاً رؤية كلب مثله .. على الأقل في محيط الحى .. كان حى هادئ من قبل تسكنه العديد من العائلات الأرستقراطية قبل أن تهبط عليه صاحبة الكلب فجأة .. رجعت من الخارج عند وفاة والديها .. أقامت في الفيلا الكبيرة التي ورثتها عنهم .. أثار مجيئها تساؤلات العديد من جيرانها .. و لكن ما أثار أنتباههم أكثر هو الكلب .. لم ير أحد مثله من قبل .. يتمتع بضخامة هائلة و شعر غزير أسود يكسو جسده .. فم واسع

يكشف عن أنياب حادة و عينان مخيفتان .. تثير رؤيته الفزع .. أتت به من الخارج .. يقولون أنه كلب هجين تتميز سلالته بالعنف و الشراسة .. يظل نباحه المخيف يوقظ الجيران كل ليلة .. رؤيته و الزيد يتطاير من فمه لا تدفع أحد لمجرد التفكير في الاقتراب من الفيللا رغم جمال صاحبته

قالت لها أحد صديقاتها من قبل : لا أعرف كيف تحبين هذا الكلب في الواقع كانت تحب كل الكلاب بصفة عامة .. ربما لأن الكلاب تمتلك حاسة الوفاء التي أفتدقتها في علاقاتها مع رجال كثيرون من قبل .. و لكن ذلك الكلب تحديداً كانت تتعلق به بشكل غير عادى .. عندما عادت من الخارج لم تكن تفارقه إلا ساعات قليلة في اليوم .. كانت وحيدة بعد وفاة والديها .. و أقامتها في الخارج لفترة طويلة قطع كل صلتها بأصدقائها القدامى .. و لهذا كانت تستغنى بصحبته عن الناس .. كما أنها أحست بالخوف أكثر وسط الحى الراقى الذي سكنته حيث معظم سكانه من كبار السن الذين لا يعيشون سوى الهدوء و يتعاملون بحذر مع أى وافد جديد .. و كان أكثر ما يزعجها السكن القاتل الذي يشمل الحى مساءً حيث تنعدم الحركة .. سكن تشعر معه بعدم الأمان و هى التي اعتادت حواسها على الضوضاء و المعيشة وسط الزحام في المدن الكبيرة .. هكذا ظل الكلب بمثابة صمام الأمان لديها .. كانت توليه عناية خاصة و تغرق مشاعرها عليه .. و

شعر الكلب بأهتمام سيدته بطبيعته .. و لهذا كان يتفانى في أخلاصه الغريزى لها .. يظل طوال الليل تحت نافذتها .. يزعج الجيران بنباحه المخيف حتى تطمئن سيدته و تشعر بالأمان فتنام .. و مع أقل صوت للرياح الخبيثة و هى تعبت بالأشجار .. أو لكائن ليلى خرج لسوء حظه بحثاً عن طعام .. كان ينبح بشكل مجنون .. و يكشف عن أسنانه الحادة .. و يندفع في الحديقة كأسد يحرس عرينه .. و عندما يقترب غريب من باب الفيلا .. يتربص به .. يتريث لبرهه و هو يراقبه .. ثم ينقض فجأة مزجراً مسبباً للغريب أقصى درجات الهلع .. و كان على أستعداد بالفعل ليقضى على أى متطفل بلا تردد .. و لم يكن يمنعه سوى باب الفيلا الحديدى .. و لهذا لم يزعج السيدة أى غريب .. أو يقترب منها جار من الحى

و أطمئن الكلب لحياته .. كان سعيداً بها .. و تمنى لو تستمر الأمور على هذا المنوال .. و لكن الحياة بالنسبة لسيدته بدأت تتغير تدريجياً .. عرفت كيف تكتسب الكثير من المعارف على مر الأيام .. و تحولت المعارف إلى صداقات خصوصاً بعد أستلامها لعمل جديد .. و بدأت أُرسل غريبة بالنسبة للكلب تدب داخل البيت .. كان يزجره في البداية و يستعد للأنقضاض و لكن إشارة واحدة من سيدته كانت تجبره على التراجع خائباً .. و أنشغلت عنه .. و لم تعد تقضى بصحبته وقتاً طويلاً كما كان الحال من قبل .. و الأسوأ

هى تلك الحفلات التى أعتادت على أقامتها بعد عودتها بعدة أشهر .. لم يكن يضايقه أكثر من رؤية كل هؤلاء الغرباء يغزون البيت الذى أعتاد أن يمرح فيه وحيداً .. يدهسون بأقدامهم الحشائش فى حديقته – عرينه الخاص – التى يحفظ كل شبر منها بلا خوف .. و يسرقون منه أهتمام سيدته .. و كانت هى فى البداية تعرض كلبها غريب الشكل على أصدقائها .. فتفتخر به أمامهم .. و حاول البعض أن يلاطفه .. و لكنه كان يزوم بغضب مما يدفع أى شخص بعدم المخاطرة بالأقتراب منه .. لم يعتاد أن يقبل يداً تلمسه سوى يد سيدته .. و بدأ الضيوف ينزعجون منه .. أضطرت لربطه فى أحد أركان الحديقة بعد أن أشتكى ضيوفها منه .. و لأول مرة داخل المنزل يلتف طوق حول عنقه و تحجز حريته سلسلة طويلة لا تسمح له سوى بالتحرك فى حدود دائرة ضيقة قطرها ثلاثة أمتار .. و إن كانت تطلق سراحه بعد أنصراف الضيوف

كان الكلب يراقب سيدته بحزن .. و لكن الأسوأ بالنسبة له لم يأت بعد .. أعتاد الغرباء مغادرة المنزل فى نهاية كل حفلة فيبقى هو و سيدته فقط فى الليل .. و لكن بعد فترة لاحظ أن أحد الغرباء أصبح لا يغادر المنزل .. يتجول فى البيت بحرية .. يتناول الطعام معها .. يضحكان و يخرجان برفقة بعضهما .. و مع مرور الوقت أصبح لا يرى سيدته إلا و هى برفقته

و لم يعرف الكلب ماهية الشخص الغريب الذي أحتل مكانته لدى سيدته .. و نظر بقلق لسيدته التي لم تعد تشعر بالوحدة بعد أن أرتبطت بالغريب .. و ازداد تجاهلها لكلبها المدلل .. و ازداد هو انطواءً .. و مما زاد من صعوبة الأمر عليه هو ذلك الكائن الصغير الذي هبط على حياتهم فجأة دون سابق أنذار.. قط أبيض صغير يكسو الفراء الذهبي جسده .. أحضرته سيدته يوماً داخل صندوق متوسط الحجم .. و بمجرد أن فتحت الصندوق حتى قفز إلى الحديقة مصدراً مواءاً مزعجاً .. و شعر الكلب بكره غريزي تجاه المعتدى الجديد .. و تحول ما تبقى من اهتمام السيدة إلى الكائن المزعج الصغير .. كان يراه ينام على الأرائك داخل المنزل و هي تلاحظه بينما يسهر هو في الخارج .. و في الصباح كان يرى سيدته تتناول أطوارها بينما يستقر القط على قدميها و هي تداعبه .. تذكر يوم كانت تربت على ظهره و هو تحت أقدامها كل صباح و كان ينتظر تلك اللحظة بلهفة لينعم بتدليل سيدته .. يؤله أن هذا القط اللعين يأخذ مكانه .. تذهب للتنزه الآن بصحبة قطها الجديد بدلاً من اصطحابه .. بل أن القط تجرأ يوماً و نزل الحديقة بدون سيدته .. عرينه الوحيد الذي تبقى له .. و بمجرد أن أقترب منه للأنقضاض عليه حتى صاحت سيدته فيه بحدة بعد أن خرجت فجأة .. و لم تعد تطلقه في الحديقة ليلاً يعد أن خافت على قطها منه .. و اعتاد القط بعدها أن يتسلل

إلى مكان الكلب .. يمشى ببطء أمامه ليثير غضبه .. بل و يقضى حاجته في كل
أنحاء الحديقة بعد أن أصبحت ملكه الآن و أنطوى الكلب بركن صغير
منها ..

و رحل الرجل فجأة .. رآه يوماً يتشاجر مع سيده و أرتفع صياحهما ..
كان على وشك ضربها عندما هرعت سيده إليه .. حررت السلسلة و أمسكت
به بقوة .. شعر بأنها تريد حمايته .. و بثبات نهض ليحول بينها و بين
الرجل الذي جاء لملاحقتها .. سال الزيد من فمه و هو يزجر بقوة مكبوتة
من زمن .. و فقد الرجل رجولته أمام هذا المنظر .. بينما وقفت سيده بثقة
وراء الكلب و هى تشعر بالأمان .. كانت أسعد لحظاته و هو يرى سيده
تعود أخيراً لحمايته .. و لم يتردد الرجل طويلاً .. أطلق ساقيه للرياح
منسحباً .. و أنتظر بفارغ الصبر إشارة من سيده لينقض على هذا الجبان
الهارب و يمزق أوصاله و لكن سيده منعه .. كانت تدرك تماماً أن كلبها
عنيف و أن الأمر لن يمر بسلام إذا أطلقته .. و لم يعد للغريب وجود .. و عاد
الكلب لمكانته .. و إن بقى القط اللعين .. و لكنه لم يعد يجرؤ على النزول
للحديقة .. و عادت سيده لتدليله كالسابق

و جاء رجل آخر .. بعد فترة قصيرة من السعادة قضاها الكلب مع سيده
بدون غرباء .. و صمم الغريب الجديد على نفي الكلب إلى أقصى ركن في

الحديقة .. و عادت سيدته لأحضان الغريب الذي كان واضحاً كرهه للكلب من أول يوم .. حتى أنه كان لا يطعمه إلا كل يومان .. و أنكمش الكلب مرة أخرى .. و بدأ يراقب ما يحدث بدون فهم .. لا أحد يستطيع حماية سيدته مثله .. فلما تلجأ إلى هؤلاء الرجال .. و هذا الأخير .. أنه أثقل ظلاً من سابقه .. بإمكانه أن يثبت كفاءته بسهولة إذا تركته في مواجهة هذا الرجل بدون السلسلة التي تكبله .. يتمنى لو يحدث هذا .. بإمكانه وقتها أن يميز أوصاله في لحظات .. و لن يعود في حاجة لرؤية تلك الضحكة الساخرة التي يقابله بها كل مرة عندما يراه .. سيسحق عظامه و يبرهن لسيدته من هو الأقوى و الأجدر بحمايتها .. و تسأل لماذا لا تفضل سيدته حمايتها و هو لم يجرؤ يوماً أن يؤذيها كما أذاها هؤلاء الغرباء من قبل .. أنه أكثر إخلاصاً منهم بلا شك .. ولن يقدم أحد منهم فروض الطاعة لها كما اعتاد هو .. فلماذا تظل تتمسك بهم إذن و تتخلي عنه

و مضت الأيام .. و عاد يسمع صراخ سيدته مع الغريب .. و رآه يوماً يضربها .. أنتفض واقفاً على قدميه بتحفز .. و علا نباحه .. أنطلق لكن السلسلة منعته .. و سببت ألماً شديداً في عنقه و هو يحاول الخلاص منها .. و توقع أن تلجأ إليه السيدة و لكنها لم تفعل .. و سرعان ما تصالحا .. و تكررت المشاجرات بينهما .. و بدأت السيدة تلجأ إلى قطعها المدلل عندما تكون

حزينة .. تمنى لو تلجأ إليه .. كل ما يريده هو فرصة واحدة فقط ليثبت لها أنه أكثر قوة وأخلاصاً من أى أحد آخر .. تمنى لو تركته فقط في مواجهة غريمه للحظات لينهى وجوده المؤلم في حياتها

و حاول الغريب الجديد التقرب من الكلب .. وبدأ يطعمه بعد أن أهملت سيدته هذا الأمر .. ولكن أستمروا عدا الكلب له وإن كان لم يعد يظهر هذا الكره تجاهه .. فعليه أن يسايره حتى يحصل على طعامه بعد أن هجرته سيدته .. وزادت المشاجرات بين الغريب و سيدته .. يراه كثيراً يضربها بالقرب منه .. وكانت تتحمل هى أهاناته و يعود هو لمصالحتها كل مرة

و في صباح أحد الأيام خرجت السيدة مع قطها لتناول أظفارها في الحديقة كالعادة .. كانت ترتدى نظارة سوداء تدارى بها كدمات على وجهها .. خرج الغريب بعدها بفترة .. كان الكلب مستلقياً في ركنه بتكاسل عندما سمع صياحهما .. لم يفهم فيما يتشاجران .. ولكن كان واضحاً أن سيدته غاضبة جداً من الغريب .. وتطور الأمر بينهما سريعاً .. و صفعها الرجل على وجهها .. هب الكلب واقفاً .. ضربها مرة أخرى و تركها ممددة على الأرض .. نهضت و الدماء تسيل من أنفها .. حاولت أن تعتدى على الرجل و لكنه كان أقوى منها .. نظرت إليه بنظرة ملؤها الغضب و أسرعت إلى كلبها .. و لأول مرة من فترة طويلة يرى سيدته تقبل نحوه .. كان يشاهد

الصراع و كل عضلة في جسده تتحفز و تنتفض غضباً .. شعر أنها اللحظة التي ينتظرها .. و بسرعة حررته من السلسلة تماماً و ألقت بها بغضب على الأرض .. ثم ألقت إليه بأشارة معينة .. أشارة تدرب عليها منذ صغره تطلق كل عدوانه .. أشارة معناها أن ينقض على العدو بلا رحمة .. أن يجهز عليه بلا تردد .. و لم تحتاج أن تكرر الأشارة .. كان قد بدأ بالركض فعلاً .. وضع عينه على عدوه .. بينما ظل الرجل في مكانه ينظر إليه بأستهانة .. ركض بجنون نحو الهدف .. أندفعت الدماء إلى عينيه من الغضب .. كشر عن أنيابه .. تدفق الزبد من فمه .. زمجر بقوة .. و أنقض بسرعة مخيفة .. على القط الأبيض المدلل

القيمة

لم يعرف صبرى يوماً قيمة زوجته .. فهو يعاملها دائماً كخادمة .. و من أول يوم في زواجهما و هو لا يقيم لها أو لآرائها وزناً .. فقيمة زوجته بالنسبة له لا تزيد عن قيمة أى قطعة أثاث في المنزل .. وربما ورث صبرى هذا عن والده .. فقد تربي و هو يرى والده يعامل أمه بهذا الشكل .. فلم يعد غريباً عليه أن يسير على خطاه عندما كبر

كان زواجه تقليدياً .. و لم يكن غريباً أن يفرض شخصيته على زوجته من أول لحظة .. فهو رجل البيت المسئول عنه و الذي يتولى الأنفاق عليه .. و لم تكن هى تعارضه في أى قرار يتخذه .. ربما حاولت مرة أو أكثر من قبل .. و ربما أنتهت الأمور بنتائج غير جيدة بالنسبة لها و لهذا آثرت عدم المحاولة مرة أخرى .. و أستسلمت تماماً لأرادته

و في الواقع لم يكن صبرى بالرجل السئ .. فهو رغم شخصيته العنيدة إلا أنه تاجر معروف بأمانته ، شجاع وكريم كما يراه الناس ، شهم و " ابن بلد

” كما يزعم أصدقائه .. و لكن تحيزه الشديد لآرائه و عدم قبوله سواها ظل بالتأكيد يشكل أبرز عيوبه .. و ظلت رؤيته للمرأة تحديداً ثابتة لا تتغير رغم تغير كل ما حوله ، و موضع سخريه – و أحياناً أعجاب – لكل من عرفه .. فهو يؤكد في كل مناسبة أنها لا تصلح للأعتماد عليها ، بل كان يعيب بشدة على بعض زملائه عندما يعلم عن تدخل زوجاتهم في شئون حياتهم .. و لهذا لم يحاول استشارة زوجته يوماً أو استطلاع رأيها في أى أمر .. بل كان يضربها أحياناً إذا خالفت أحد أوامره .. أو أتخذت قراراً دون الرجوع إليه

و أنجب صبرى ولداً جميلاً بعد عامان من زواجه .. و كبر الولد أمامه و هو يتابعه بلهفة .. و تعلق بأبنه الوحيد لدرجة أنه كان يعود أحياناً من العمل أبكر من المعتاد فقط ليقضى بعض الوقت معه .. بل و يسهر بجواره ليلاعبه رغم عودته مرهقاً من العمل .. و تعهد صبرى لنفسه على أن لا ييخل بأى جهد ليراه سعيداً .. و بدأ يدلل أبنه كثيراً و إن كان يخشى أحياناً أن يفسده التدليل الزائد

و بلغ أبنه أربعة أعوام .. و بدأ ينزل للحارة ليلعب مع أقرانه .. و عاد صبرى يوماً للحارة مرهقاً بعد أنتهاء عمله ليتفاجئ برؤية أبنه يتشاجر مع طفلين أكبر منه حاولا سلب بعض ألعابه .. أسرع إليه على الفور ، و اصطحبه

للمنزل و جسده يرتجف من الأنفعال .. وفي الطريق بدأ الغضب ينتابه لرؤية الدماء و هى تسيل بغزارة من أنف أبنه و تغطى وجهه بينما لمح بعض الكدمات تظهر بوضوح أعلى ذراعيه .. و على الرغم من غضبه أحس صبرى بالفخر لشجاعة أبنه .. فأبنه حسن لم يهرب من القتال على الرغم من أن الأطفال المعتدين كانوا أكبر منه سناً و حجماً .. بل و واجههم بشجاعة .. و أدعشه أنه على الرغم من الضرب الذي تلقاه .. لم يبكى مثل كل الأطفال ..

والغريب أن صبرى لم يتذكر أنه رأى أبنه يبكى منذ أن شب و أصبح بإمكانه أن يقف على قدميه بمفرده .. حتى عندما أطحبه للمدرسة للمرة الأولى لم يبكى مثل كل الأطفال من حوله .. و عندما كان أحد المعلمين يعاقبه بالضرب .. لم يكن يخاف أو يرتجف مثل باقى زملائه .. بل كان يتلقى الضرب بهدوء دون أن يصيح ألماً .. هكذا أخبره ناظر المدرسة صديقه و هو يحكى له عن شجاعة أبنه التي لم ير لها مثيلاً من قبل .. و بدأت تصرفات أبنه تستدعى انتباهه .. كان يلاحظه يختلط و يلعب مع أطفال أكبر منه سناً دون خوف .. يتركه وحده بالمنزل ليخرج مع أمه لشراء بعض الاحتياجات فلا يخاف أو يبكى .. حتى الظلام لم يعد يخشاه .. فهو اعتاد أن ينام في غرفته ليلاً بمفرده بعد أن يسود الظلام المكان تماماً .. بل و يسمعه أحياناً يتوجه للحمام في منتصف الليل دون أن يوقظ أحداً لأصطحابه مثلما يفعل كل

الأطفال في عمره .. و رغم حب صبرى لأبنه إلا أن هذا لم يمنعه من ضربه أحياناً عندما يخطئ .. و لكن الأبن لم يهرب يوماً من العقاب أو يبكي عندما يلتقيه .. و لهذا زاد من تعلقه بأبنه .. و دهشة من سلوكياته

و وقعت حادثة ذات يوم عندما جلب أحد الجيران كلباً كبيراً لحراسة منزله .. كان أطفال الحي يخافون من الأقتراب منه .. يقذفونه أحياناً بالحجارة ثم يركضون بعيداً و لم يكن يمنع الكلب سوى السلسلة الكبيرة التي ألتفت حول عنقه بأحكام و ربطت في سور الحديقة .. و ذات يوم بينما حسن في طريق عودته من المدرسة إذا بأحد زملائه يقذف الكلب بحجر كبير .. و هاج الكلب فوراً .. و لسوء حظه كان بالقرب من الكلب وقتها الذي أنتهز الفرصة و عقره .. و لأنه كلب ضخم غاصت أنيابه في ذراع حسن .. و صرخ حسن و لكنه قاوم الكلب بشدة حتى أضطره للتراجع .. و تم نقله للمستشفى بسرعة .. و أسرع صبرى إلى هناك فور أن علم بالخبر .. و في المستشفى لم يبكي حسن على الرغم من أصابع الطبيب و هى تظهر الجرح العميق و تزيده ألماً و إن أكتسى وجهه بلون قاتم من الألم .. و ترقرت الدموع في عيني أمه و هى ترى قسوة المنظر بينما وقف الأب عاجزاً يتمنى لو بإمكانه أن يحل محله لمنع الألم عنه

و داوم صبرى على حمل أبنه للطبيب مضطراً ليحقنه بشكل يومي و لمدة

ثلاث أسابيع متواصلة بعد أن عقره الكلب .. يصطحبه حانقاً فهو يعلم كم تسبب من ألم .. تذكر أنه هو نفسه مر بتجربة مماثلة من قبل عندما عقره كلب ضال في قريته و كان وقتها في سن أكبر من سن أبنه .. لا ينسى كيف كانت تؤله وخز الحقن وتدفعه للبكاء أحياناً .. و لكن أبنه لم يبكى أو يخاف و هو ما أثار استغراب الطبيب الذي كان يمنح حسن قطع من الحلوى أحياناً مكافأة على قوة تحمله

و أنجب صبرى ولداً آخر فأنشغل به قليلاً عن حسن .. و أتم حسن ثمان سنوات .. و بدأ يظهر تفوقاً واضحاً في الدراسة .. و تساءل صبرى من الذي يساعده رغم أنه مشغول دائماً في العمل .. و ظل يدهشه بتصرفاته رغم صغر سنه .. فهو لا يشتكى أبداً .. و يواجه كل موقف بجرأة بلا خوف .. بل أنه يذهب للمتجر أحياناً مع أبيه ليساعده في العمل .. و بدأ يتولى شراء كل متطلبات البيت بمهارة يحسد عليها .. فلم تفلح بائعة يوماً أو بائع في غشه .. و لهذا حرص صبرى على أن يقرب ابنه إليه و يعامله بحب أكبر .. و أصبح مدعاة فخره أمام الناس .. خاصة عندما توجه لزيارة أقارب لهم في الصعيد و أصطحب حسن معه .. و هناك أعجب الجميع به و أثنوا على سلوكياته .. وأشادوا بصبرى أكثر لأنه غرس في أبنه كل تلك الصفات الجيدة .. و تساءل صبرى للمرة الثانية كيف أكتسب ابنه كل تلك الصفات

من صغره دون أن يعلمه أحد .. و لم يجد جواباً لسؤاله سوى أنه ورثها منه
بالتأكيد

و عاد صبرى يوماً من عمله في المساء بعد يوم شاق خسر فيه مبلغ كبير من
المال أثر صفقة خاسرة .. بدا له المنزل أمام عينيه مختلفاً .. لاحظ أن زوجته
حركت بعض قطع الأثاث و أعادت ترتيب المنزل أثناء غيابه .. و رغم أن
المنزل بدت صورته أفضل .. إلا أنه أغتاظ من زوجته التي لم تحصل على أذنه
قبل القيام بالأمر .. و عندما هرعت إليه لأستقبله كان ثائر الأعصاب
بشدة .. تشاجر معها .. و علا صوته .. و لم تتكلم هي .. اعتادت أن تتحمل
أهاناته بصبر .. و بدأ يفقد أعصابه أكثر عندما لم يجد رداً منها .. و في غمرة
أنفعاله .. هوى على وجهها بصفعة قوية

لم يدرى أن أبنه النائم قد أستيقظ على صراخه العالى .. و أن الولد خرج
من غرفته لأستطلاع الأمر .. و رأى ما حدث .. و قبل أن يهوى صبرى
بالضرب على زوجته للمرة الثانية أندفع الطفل بلا وعى ليقف أمام أمه و
يحول بينهما .. كان يقف أمام أمه تماماً فاتحاً ذراعيه و كأنه يزود عنها .. و
ذهل صبرى للحظات و هو يرى طفله يواجهه و يحمى أمه .. و هدأت ثورته
العارمة قليلاً .. كانت الدماء قد بدأت تنزف من أنفها .. تطلع الطفل للدماء و
للكدومات التي علت وجه أمه .. ثم رفع رأسه نحو أبيه بسرعة .. و رأى

صبرى ما لم يكن يتوقعه .. نظرات صادمة بوجهها الطفل لأبيه رغم براءة سنه .. نظرات تحمل كل معنى الغضب .. وبينما و لأول مرة في حياته .. يرى شيئاً ينساب عبر عيون أبنه لم يستطع أن يمنعه .. شيئاً لم يره من فترة طويلة و لم يظن أن يراه .. دموعاً ساخنة يسكبها الطفل بصمت .. آله أن يراها لأول مرة تنساب بغزارة منه و هو يلتصق بشكل أكبر بوالدته بينما الألم يعتصر وجهه البرئ .. تطلع لجسده الصغير الذي يرتجف بقوة في خوف حقيقى .. وللمرة الأولى أيضاً يرى صبرى أبنه خائفاً .. نعم .. خائفاً و بشدة .. و لدهشته .. لم يكن خائفاً منه ، كان خائفاً على أمه

تسمر صبرى في مكانه مذهولاً للحظات لا يدر كيف يتصرف .. ضمت الأم أبنها إليها بحنان فأستسلم في أحضانها .. مسحت الدماء التي سالت من وجهها بصمت .. أغمض الطفل عينيه وهذا قليلاً في أحضان أمه و قد بدأ جسده يتوقف عن الارتجاف تدريجياً .. و رغم الألم الذي تمر به ربتت على كتف أبنها بحنان و هى تواصل احتضانه بيد .. و تمسح دموعه باليد الأخرى .. تراجع صبرى قليلاً .. نظر لزوجته .. أدرك صبرى لحظتها فقط من أين أكتسب أبنه شجاعته .. و من أين أستمد كل الصفات التي يفخر بها .. تلك الصفات التي ظن يوماً واهماً أنه أكتسبها منه .. تراجع خطوة و هو يواصل النظر إليها مذهولاً بلا كلام .. لم يدرك سوى وقتها فقط من القدوة

التي تعلم منها أبنه حقاً الصبر و تحمل الألم .. و من السبب وراء تفوقه في الدراسة و تميزه خارجها .. و المصدر الذي أستمد منه جرأته و ثقته بنفسه .. أحس بالألم و هو يرى نفسه يزرع في أبنه معنى الخوف الذي لم يعرفه من قبل .. بينما أجتهدت أمه كل تلك السنوات لتنزع من داخله كل المعاني السلبية و تزرع فيه معاني أخرى جميلة يهدمها هو فيه بسهولة تامة الآن .. أطال النظر في وجهها و كأنه يراها للمرة الأولى بينما أنسحبت هي تجاه غرفتها في بطة .. و لأول مرة يستشعر صبرى حقاً قيمة زوجته .. و لأول مرة أيضاً يعرف الندم على بعض تصرفاته معها طوال كل السنوات الماضية .. و ..

و لم يعد صبرى يضرب زوجته .. أو يستهزأ بها
و لكنه ما زال متمسكاً بآرائه بعناد تام .. على الأقل أمام الناس .. وإن
لم يعد يتطرق إليها كثيراً أو يدافع عنها بحماس كبير كالسابق

أزمة

كنت في عيادتي أستعد لاستقبال آخر حالة .. طرق المساعد على الباب
أستئذناً قبل ان يفسح الطريق للمريض .. رفعت عيني عن بعض الأوراق التي
كنت أطلعها و تطلعت للقدام .. شاب في بداية الثلاثينيات رياضى القوام
يمشى بخطوات ثابتة سريعة وإن كان يبدو عليه بعض القلق .. بالرغم من
ثباته الظاهري إلا أنى لاحظت توتره من خلال خطواته المتردة و نظراته
الزائغة التي مسحت المكان فور دخوله .. نهضت لمصافحته و الترحيب به ..
جلس على مقعد مقابل مكتبي .. تشاغل بكتابة بعض الملاحظات لأفسح له
المجال ليهدأ قليلاً و تألف نفسه جو العيادة .. تبادلنا معه بعض عبارات
الترحيب التقليدية أستجاب لها بكلمات سريعة مقتضبة .. أرحت ظهري
على مسند الكرسي ثم وجهت له سؤالى الأول الذي أعلم مسبقاً أجابته

-هل تلك أول مرة تراجع فيها طبيب نفسى ؟

هز رأسه بالإيجاب .. أخرجت دفتر ملاحظاتي لأدون ما سيدور في

الجلسة و لم أفضل استخدام المسجل حتى لا أزيد قلقه الظاهر للعيان .. سألته عن اسمه فلم أتلقي أجابة منه .. رفعت عيني و نظرت إليه فأطرق إلى الأرض .. ثم رفع رأسه قائلاً بحزم:

-هل يمكن التجاوز عن مسألة الأسم .. لا أحب أن أكذب عليك .. و سأجيب بصراحة عن أى سؤال آخر .. بعيداً عن هويتي

هزرت رأسى متفهمة .. ليست أول حالة يمتنع فيها المريض عن ذكر بياناته الشخصية .. طريقة يلجأ إليها البعض ليشعر براحة أكبر قبل الانطلاق في الكلام .. كثير من المرضى بعد عدة جلسات على أى حال يكشفون عن هويتهم من تلقاء أنفسهم بعد أن تبني جسور الثقة بينهم و بين الطبيب بشكل جيد .. تفاضيت عن مسألة الأسم أنن .. سألته عن المشكلة التي يعاني منها .. أو السبب الذي دفعه لمراجعة الطبيب .. شرد ببصره قليلاً في سقف الغرفة .. ثم بدأ يحكى بثبات

علمت منه أنه تعرض لحادث عنيف من بضعة أشهر .. حادث قوى أثر بالسلب على أعصابه و ترك آثاراً لا تمحى داخل نفسه لم يستطع التعافى منها .. قبلها لم يكن يشكو من أى شئ غير طبيعى .. شاب عادى ناجح في عمله .. أجتماعى و له علاقات متعددة .. الآن أصبح يثور بسرعة .. ينزعج من الأصوات العالية .. يتجنب الناس و يفضل العزلة بعيداً عنهم .. و

المشكلة الأكبر التي طفت على السطح فجأة و كانت السبب الأهم الذي دفعه للجوء للطبيب .. هى تلك النوبات العصبية اللعينة التي بدأت تهاجمه بلا رحمة في الفترة الأخيرة ..

أعتدلت في مقعدى بأهتمام عندما وصل إلى هذا الحد .. سألته عن نوع النوبات .. أخبرنى أنها نوبات يفقد فيها السيطرة على نفسه .. بمجرد أن يتعرض لموقف أو مثير يذكره بالحادث حتى يصاب بتلك الحالة .. يحس بخدر في أطرافه و عدم قدرة على الحركة .. يشعر بدوار شديد و تخفت الأصوات من حوله تدريجياً .. يصيب جسده شلل مؤقت و يغيب في عالم آخر رغم أنه لا يفقد وعيه .. يضيق صدره كما لو أن شيئاً ثقيلاً يجثم فوقه فجأة .. تستمر هذه الحالة لفترة من الوقت ثم يبدأ جسده في الأسترخاء تدريجياً و يعود لحالته الطبيعية و لكن مرهقاً تماماً .. المشكلة أن النوبات كانت تنتابه على فترات متباعدة و لكنها زادت في الفترة الأخيرة حتى أنها هاجمته مرتان أثناء العمل و هو ما لا يريده أن يتكرر .. عمله حساس لا يقبل الخطأ و أقل هفوة فيه قد تقضى على مستقبله .. في المرتان أنقذه مساعده و أخفى الأمر ببراعة .. و لكنه يعمل الآن مع مساعد أقل خبرة و براعة و ربما يتسبب الأمر بكارثة

لم أسأله بالطبع عن طبيعة عمله الحساس لأنى أعلم مقدماً أنه سيخفى

ذلك .. أنهيت الجلسة عند هذا الحد بعد أن رأيت أن حالته لا تسمح بمزيد من الكلام .. وصفت له بعض الأدوية المهدئة و طلبت منه تحديد جلسة ثانية .. أنطباعي الأول الذي خرجت به أنه مصاب بأزمة فزع تنتابه عندما يتعرض لمثير قوى يذكره بالحادثة .. ربما يعتبر نفسه مسئولاً عن تلك المأساة التي تعرض لها ، و لم يتخلص بعد من عقدة الذنب حيالها .. على العموم ستوضح الجلسات اللاحقة كل تلك الأمور بشكل أفضل

فى الجلسة التالية تكلم عن الحادثة أكثر .. سبب الأزمة التي يمر بها .. أطلعنى على كافة ملابساتها بالتفصيل .. علمت أنه كان فى طريقه لقضاء أمسية لطيفة مع عدد من أصدقائه فى أحد الأستراحات على الطريق السريع .. لم يكن فى حالته الطبيعية بعد أن دخن كثيراً ، بالأضافة إلى أنه لم ينم جيداً فى الليلة التي سبقتها .. أختل توازن السيارة و هو ينطلق بسرعة عالية أعتادها مع أصدقائه فأنقلبت السيارة عدة مرات و حادت عن الطريق و لم يوقفها سوى رمال الصحراء التي خففت زحف السيارة على الأرض .. مات أحد أصدقائه على الفور و أصيب الآخرون بأصابات متنوعة و لكن الغريب أن أصابته لم تكن جسيمة .. كيس الهواء المصمم لحماية السائق فى سيارته الحديثة بالأضافة إلى حرصه على ارتداء حزام الأمان دائماً أنقذ حياته .. عند الأنتهاء من كلامه كان العرق الغزير يغطى جبهته رغم برودة الجو ..

لاحظت أنه يتنفس بصعوبة و يطبق بيده على مسند الكرسي بقوة .. أدركت أن حالته لا تسمح بموصلة الجلسة فأنهيتها للتو .. طلبت منه إجراء عدة تحاليل طبية تمهيداً لكتابة بعض الأدوية المهدئة قوية المفعول له .. وحتى أتأكد أن أزمة الفزع التي يمر بها ليس لها سبب عضوى ناجم عن الحادثة لقائنا التالى أحضر معه نتائج التحليل التي جاءت سلبية .. واصل كلامه و لكن تلك المرة عن عمله .. لم أخرج بصورة واضحة عن طبيعته و لكنى عرفت أنه عمل حساس يوفر له مكانة اجتماعية مرموقة .. ودخلاً محترماً يجعله يخشى أن يفقده بسبب تلك النوبات .. كما أنه يحب عمله و تميز فيه رغم صغر سنه .. تكلم قليلاً عن علاقاته النسائية و بعض الأمور الأخرى الثانوية التي لا تفيدنى في تشخيص حالته و لكنى أستمعت له بسعة صدر .. في نهاية الجلسة طلبت منه أن يصف لى مرة أخرى بشكل أكثر وضوحاً الأعراض التي يشعر بها بعد الحادثة .. بالإضافة إلى الأعراض التي سبق و أن وصفها .. أبلغنى أنه يعاني قليلاً من اضطرابات في النوم .. صعوبات في التركيز و التذكر .. أحساس عام بالتعب و الأجهاد لأقل مجهود يبذله .. أخبرنى بخجل بفقدانه الرغبة في النساء و هو الذي أشتهر بعلاقاته المتعددة .. كنت أعلم أنه يمر بطور خفيف من الاكتئاب و تأكدت الآن من ظنوني من الأعراض المتنوعة التي ذكرها .. كتبت له مجموعة من الأدوية و طلبت منه تناولها

بحذر .. مجرد مجموعة من الأدوية المهدئة و بعض مضادات الأكتئاب المفيدة في حالته .. نصحته أيضاً بأن يحصل على أجازة و لكنه رفض الفكرة فوراً خاصة أنه سيق له الحصول على أجازة طويلة عند تعرضه للحادث و يخشى أن يثير الشكوك من حوله بطلبه أجازة ثانية سريعة لا يستطيع الأفصح عن مبرراتها

في الجلسة التالية كان أشد تماسكاً و أكثر هدوءاً .. وضع التأثير المؤقت للأدوية عليه .. تكلم عن صديقه الذي مات في حادثة السيارة .. و عن علاقة الصداقة الطويلة التي جمعت بينهما .. قص على الكثير من نواذر هذه العلاقة .. ثم سكت طويلاً .. أدركت وقتها أنه يعاني من أحساس بالذنب لم يتخلص منه و يمنعه من مواصلة الكلام .. كنت أرغب أن يتكلم أكثر في هذا الموضوع و يلقي عليه مزيد من الضوء ليتخلص من أنفعالاته المكبوتة و لكنه واصل الصمت .. لم أشأ أن أضغط عليه .. بعد فترة عاد للتحدث مرة أخرى عن عمله و فخره للمكانة التي وصل إليها رغم صغر سنه .. و الأهم ، تحدث عن خوفه من أن تنتشر أخبار مرضه لتصل إلى رؤسائه .. حاولت طمأنته بأن علاقة المريض بالطبيب النفسى لا يسمح لأحد بالأطلاع عليها ، و لكن ظلت نظرات القلق واضحة في عينيه..

في جلستنا اللاحقة خرج الأمر قليلاً عن المألوف .. جاء ثائر الأعصاب

بشدة و متوتراً بدرجة كبيرة .. لم أره في هذه الحالة من قبل .. أستغرق الأمر وقتاً ليهذا و يشرح لى سبب توتره .. أحد زملائه ممن يقطنون في منطقة قريبة رآه و هو يتوجه نحو العمارة التي تشغل العيادة أحد وحداتها .. اضطر لأن يكذب عليه و يخبره أنه جاء لزيارة صديق يسكن في نفس البناية .. لم يبدو على صديقه الاقتناع بكلامه و سأله عن أسم الصديق فهو يعرف معظم قاطنى هذه المنطقة و لكنه تهرب منه .. المشكلة أن البناية لا توجد بها سوى عيادة واحدة و هى عيادتى و لو كان بها عيادات أخرى لأدعى الذهاب إلى أى منها بسبب ألم جسدى طارئى يعانى منه .. حاولت أن أوضح له أن العلاج النفسى ليس عيباً حتى أن كثير من رؤساء العالم و المشاهير خضعوا له و أترفوا بتلقائية بتلقيهم للعلاج النفسى و هم أكثر حاجة من أى شخص للحفاظ على صورتهم المثالية لدى الناس .. و لكنه لم يبدو مقتنعاً بكلامى .. لم أفلح في تهدئته حتى أنه لم يستكمل الجلسة و أنهاها سريعاً بعد أن نصحته بالمواظبة على تناول الأدوية

فى موعدنا التالى لم يحضر .. و لم يظهر في الأسابيع القليلة التي تلتها .. كما أنه لم يتصل ليعتذر .. أدركت أن خوفه على سمعته دفعه للهروب من العلاج .. أو ربما فضل العلاج عند طبيب آخر تشغل عيادته مكاناً بعيداً أو لا يثير الشبهة عند التردد عليه مما يقلل من فرص أنكتشاف أمره .. تمنيت

حقاً أن يستكمل علاجه فحالته تحتاج لكثير من المتابعة والأهتمام.. و الادوية التي كتبتها له لن تعالج المرض ولكنها فقط تخفف شدته و تقلل من أعراضه التي ستعاود الظهور بقوة بمجرد التوقف عنها .. وخشيت أن يعتمد عليها فقط و يهمل العلاج السلوكي و النفسى و هو الأهم .. بعد فترة بدأت أنسى الأمر أو أتناساه .. واصلت التركيز مع حالاتى و أنشغلت بالعمل بعد مرور فترة وجيزة تلقيت دعوة للسفر للخارج لحضور مؤتمر علمى .. فرصة جيدة لتبادل الخبرات و الأطلاع على آخر التطورات في مجال تخصصى .. قضت وقتاً طويلاً قبل السفر لأعداد بحث ألقيه في المؤتمر .. في يوم السفر توجهت للمطار فجراً للحاق بموعد الطائرة .. أنهيت إجراءات سفرى و صعدت على متنها .. جاء مقعدى بجوار نافذة فألقيت نظرة إلى الخارج و أنشغلت برؤية المطر الذي بدأ ينهمر .. أقلعت الطائرة أخيراً بعد تأخر طفيف .. دائماً أخاف من ركوب الطائرات و لكنى أنجح في التغلب على هذا الخوف بطرق عديدة درستها .. بعد فترة قررت أن أراجع بحثى .. ارتديت نظارتى و بدأت في مراجعة الأوراق بتركيز .. شعرت بعينى تؤلمنى فتوقفت عن القراءة و تطلعت من النافذة إلى المحيط الواسع من تحتنا و قد بدأنا نحلق فوقه في تلك اللحظة .. شردت بخيالى قبل أن يقاطعنى صوت هرولة أحد المضيفات .. علمت أن أحد المسافرين أنتبأته غيبوية سكر .. كنت

أدرك بحكم كثرة سفرياتى أن الطائرة مزودة بحقن الأنسولين تحسباً لتلك الحالات الطارئة فلم يساورنى القلق مثل باقى الركاب على حياة المريض و إن كان الأمر يستدعى حضور الطيار .. فربما تتطلب الحالة هبوط الطائرة في أقرب مطار أو العودة لأسعاف المصاب فوراً .. بعد دقائق هدأت الأمور و وضح أن الحالة تم السيطرة عليها .. أسترخيت قليلاً ثم عاودت القراءة و أنشغلت تماماً في أوراق البحث قبل أن يتناهى فجأة إلى سمعى صوت مميز .. صوت مألوف لم أتعرف عليه في الحال .. رفعت عينى عن الأوراق و تطلعت للأمام .. هناك كان يقف رجل في منتصف الممر يرحب بلهجة لطيفة بركاب الطائرة و يطمئنهم بنفسه على صحة المسافرين المصاب .. بمجرد أن وقعت عينى عليه حتى تعرفت عليه فوراً .. و يبدو أنه تعرف على أيضاً لأنى لاحظت ارتعاشة خفيفة في يديه .. واصل كلامه لثوان و لكن تهدج صوته قليلاً .. مع مواصلة حديثه لاحظت أنه بدأ يتنفس بصعوبة و قطرات من العرق تعرف طريقها إلى جبهته .. ثم أستند على مسند أحد الكراسى بعد أن كان يقف بثبات .. أغمضت عينى في أحباط .. لم يكن من المناسب أن يرانى .. أو تقع عينه على أبداً

كان هو بلا شك .. مريضى السابق .. المريض الذي هرب دون أن يكمل علاجه .. يقف أمامى متماسكاً بصعوبة الآن مرتدياً زى الطيار و هو يحاول

طمأنه المسافرين .. تبدو عليه بؤادر الأزمة بعد أن رآنى .. مثير قوى يذكره
بالحادثة .. لم يكن فى استطاعتى أيقاف النوبة التى أرى بوضوح بداية
أعراضها تجتاحه .. هززت رأسى فى أسى .. بلا وعى أبعدت وجهى عنه
تجاه النافذة .. حيث تراءى أمام عيني على الفور اللون الأزرق المميز للمحيط
الشناسع الذى تحلق الطائرة فوقه..

المغناطيس

كنا زميلين في العمل .. و لكن العلاقة بيننا عابرة ، و ظلت كذلك لفترة طويلة .. لا أعلم كيف أنجذبت إليها .. ربما بسبب نظراتها الغامضة .. أبتسامتها الشاحبة .. مرحها الدائم الذي كان يبدو لي ، على عكس الناس ، قناع يخفي وراءه حزن عميق .. كل ذلك دفعني لأن أقترب منها .. كانت تتمتع بشخصية جذابة حقاً و خفة ظل بلا تكلف ، دائمة الابتسام ، تستطيع أن تنجز أى عمل صعب بأبتسامتها السحرية .. تلقائية دوماً و مرحها من النوع المحبب للنفس دون أبتذال أو تجاوز .. و لهذا لم يكن غريباً أن تحظى بشعبية بيننا في العمل لا تضاهى .. و لكن .. ظل هناك شئ لم يلحظه كل من حولها .. تلك اللحظات الخاصة التي تجلس فيها بمفردها فتختفي شخصيتها المرحّة عندما تتأكد أن لا أحد يراقبها .. يغمر حزن واضح وجهها الفاتن .. يطل من عينيها أسى عميق .. لحظات و سرعان ما تتدارك نفسها .. تعود إلى طبيعتها أو تحاول ذلك .. ربما كل ذلك دفعني لأبحث عن فرصة لمعرفتها أكثر .. و ربما لسبب آخر .. و هو أنني كنت سرّاً أحد المعجبين بها

و في يوم و اتتنى الفرصة التي طالما ترقبتها .. أعلنت أحد الزميلات عن رحلة تعتزم المؤسسة القيام بها .. و تحمست عندما رأيتهما تشترك بها تحت ألحاح الزملاء .. سارعت بالأشتراك أيضاً لعلى أحظى بفرصة أكبر للتعرف عليها .. و في موعد الرحلة حرصت على الذهاب مبكراً .. مر الوقت و نحن ننتظر داخل الحافلة و لكنها تأخرت .. بدأ القلق يتسرب إلى .. مرت الدقائق سريعاً ليعلم السائق أنه لا بد من الانطلاق .. بدأنا التحرك بالفعل بينما غبت في عالم آخر .. و فجأة صاحت أحد الزميلات .. ألتفتنا إلى حيث تشير حيث لمحناها تأتي من بعيد مهرولة تحاول اللحاق بنا .. صحننا بالسائق كى يتوقف .. و سرعان ما لحقت بالحافلة و هى تلهث و قد ردت إلى روحى .. كانت تضحك و تعتذر لكل .. دارت بعينها في المكان و لكن لم يكن هناك سوى مقعد فارغ فقط بجانبى .. و بدون تردد وجدتها تستأذن في الجلوس بجوارى

لم أصدق نفسى .. كان هذا أكثر مما كنت أتمناه .. و سرعان ما تنحييت جانباً .. و تبادلت معها الحديث طوال الرحلة .. و أندمجت معها في الكلام و قد نسيت كل ما حولى .. و رغم قصر مدة الذهاب .. إلا أنها كانت أسعد لحظات حياتى .. و عندما بلغنا الهرم — أول مكان في رحلتنا — قلت لها و نحن نغادر : أنت أذكى أنسانة قابلتها في حياتى .. و لم تكن مجاملة .. و

على غير المتوقع شحب وجهها قليلاً .. و ردت بأبتسامة باهتة ..
صدقنى .. العكس هو الصحيح تماماً ” .. أندهشت و لم أعقب

لم أستطع أن ألتقى معها باقى الرحلة .. كانت تنتقل من مجموعة لأخرى
كالفراشة .. تثير المرح في كل مكان تذهب إليه .. و مر وقت الرحلة سريعاً ..
و أنتهى بنا الأمر إلى باخرة سياحية في النيل قبل الغروب .. كان آخر مكان
في رحلتنا .. و جاءت في وقت مناسب بعد يوم من الحركة و النشاط حيث حل
الأرهاق بالجميع فكانت فرصة للأسترخاء قليلاً وسط النيل و الغروب .. و
بمجرد أن صعدنا على سطح الباخرة حتى درت بعينى في المكان أبحث
عنها .. و لكن منظر غروب الشمس جذبنى .. أسندت يدى إلى السياج و
تطلعت إلى قرص الشمس الأحمر و هو يحتضن النيل .. و عندما أفقت
وجدتها بجانبى .. أزداد خفقان قلبى .. قلت لها : منظر جميل .. مدت
يدها إلى وجهها .. يبدو لتمسح دموع لم أتبينها جيداً في الظلام .. أشارت إلى
مجموعة من زملائنا يفترشون سطح الباخرة في دائرة .. قالت بسرعة : دعنا
نجلس معهم . أنضمت سريعاً للمجموعة و جلست مقابلها .. كان الجميع في
حالة أسترخاء .. و فجأة طرح أحدهم سؤالاً عابراً عن أغرب شئ سمعوه في
حياتهم .. تحمس البعض للأجابة .. و بدأ كل واحد يحكى عن أغرب قصة
عايشها أو رآها .. كانت بعض القصص طريفة ، و البعض الآخر غريب

حقاً .. و قد حرصت هى و مجموعة من الزملاء على عدم المشاركة و أكتفت بتعليقات قصيرة عقب كل قصة .. لاحظت أنها لم تبدى دهشة على أى قصة سمعتها على عكس الآخرين .. و يبدو أن البعض لاحظ ذلك أيضاً مما دفع أحدهم لسؤالها بفضول : ألم تثيرك أى قصة منهم .. قالت بهدوء : كلها جميلة و لكنها ليست الأغرب .. ساد السكون بيننا للحظات .. كان قرص الشمس قد أختفى و لم يتبقى سوء ضوء خافت .. لم أستطع أن أتبين ملامح وجهها جيداً .. و فجأة طرحت عليها أحد الزميلات : لما لا تحكى لنا أغرب قصة مرت بك في حياتك .. و لم ترد .. و تحمس الجميع للأقتراح و بدأوا يلحون عليها .. كانت تتمنع و تعتذر و لكنهم أستمروا بالضغط عليها .. سكنت قليلاً .. أبتسمت في أستسلام ثم قالت : حسناً .. سأحكى لكم عن قصة أغبى امرأة قابلتها في حياتى ، و هى قصة حقيقية لا أحب أن أحكيها كثيراً . سكنت لبرهه ، تنفست بعمق .. سرحت قليلاً .. ثم بدأت تحكى بصوت هادئ لا يخلو من نبرة حزن :

كانت أعرفها زوجة جميلة تحب زوجها بجنون .. و كان يعشقها بجنون أكبر .. يشتاق إليها و هى إلى جواره .. تحصى الدقائق و كسور اللحظات لموعده عودته إن غاب عنها .. أندمجا فلم يعد يشعر أى منهما أنه كامل إلا بوجود صاحبه .. كانت لا تتصور حياتها بدونه .. و كان يشعر أنه

يفارق روحه عندما يغادرها .. و حلّقاً معاً في سماء بعيداً عن أرض قد لا تتسع
لعشقهما

سكنت قليلاً .. أقتربت أكثر فيما تطلعت إليها العيون بلهفة و هى
تكمل:

في يوم عاد الزوج لمنزله و بيده خطاب .. قبل زوجته بحب كالعادة ..
سألته بلهفة عما بيده فأخبرها و هو يكاد يطير فرحاً أنه من أخيه يوسف ،
المهاجر في الخارج من مدة طويلة .. أخيه الوحيد الذي لم تره من قبل ، و إن
حكى لها الكثير عنه .. سافر إلى الخارج لينهى دراسته الجامعية .. جذبته
الحياة فأستقر لعدة سنوات هناك بعد تخرجه عمل خلالها كمهندس في أحد
الشركات الكبرى .. علمت أنه سيصل أخيراً بعد يومان .. شاركته فرحته
بالطبع .. بعد برهة ظهر بعض القلق على وجهه .. ألتفت إليها قائلاً
بتردد : " تعلمين أن يوسف لا أحد له في الدنيا سوى بعد وفاة والدتنا .. و
أرغب أن يمكث معنا هنا .. لفترة قصيرة فقط حتى يستقر " .. كادت أن
تعترض ولكنها أمام توسله لم تستطع إلا أن توافق .. و أن كان هناك شئ
بداخلها أقلقها من الأمر .. و في الليل لم يطاوعها النوم .. لأول مرة يراودها
شعور غريب بعدم الطمأنينة لا تدرى مصدره .. في اليوم المحدد أعدت المنزل
ليكون لائقاً باستقبال الزائر الجديد .. لم تدخر أى جهد ليبدو المكان في أبهى

صورة .. بينما توجه زوجها للمطار لأستقبال أخيه .. ما أن عاد و سمعت
طرقته المميزة على الباب حتى أسرع لأستقباله .. رحبت بضيفها
بحرارة .. و تطلعت إليه بفضول .. و للوهلة الأولى داهمها شعور بعدم
الأرتياح تجاهه .. كان وسيماً حقاً كما كان يحكى زوجها و لكنه بدا غريباً في
مظهره و تصرفاته .. ذلك الشعر الطويل المموج .. الملابس الضيقة .. السلسلة
التي تتدلى من رقبته .. تلك النظرة المغرورة التي ترسم على وجهه .. نبات
غريب لم تعد تربطه جذور بالحياة هنا .. و سرعان ما أدركت أنها لن تتفق
معه .. و أنها أمام شخص ينتمى إلى عالم آخر لم تألفه .. و عندما سألته
بتרחاب عن صحته .. أجابها بلكنة أجنبية لم تفهمها في البداية فأكد
ظنونها .. دعاه أخاه بسرعة لمشاهدة المنزل .. تفحص ديكورات البيت بلا
مبالاة قبل أن يعلق ببساطة : ليست سيئة .. ذوق قديم و لكن مع بعض
التحسينات ستصبح أفضل . أدهشها كلامه و ضايقها أن يصف أحد منزلها
الذي تحرص عليه كل الحرص بسلبية شديدة ، و ينتقد ذوقها علانية .. و
لكن ما أدهشها حقاً هو رد زوجها عليه : سنقوم بأى تغييرات تراها
ضرورية بالطبع . لم تستطع أن تتكلم ، كتمت غيظها و أتجهت لأعداد
الطعام

لم يجلس زوجها بجوارها على المائدة كالعادة .. جلس بجوار أخيه ..

سألته عن رأيه في الطعام ، رد بلا أكثر : ملئ بالدهون .. أكل غير صحي
بالمرة كما أنى لاحظت أنك أكثر من الملح على الطعام . أدهشها أنه لم
يحاول حتى أن يجاملها .. لم تبدى أمتاعها .. يبدو أنه يفتقد أبسط قواعد
الذوق .. تطلعت لزوجها قائلة بهدوء : و لكن أخيك هو من يطلب و يفضل
الطعام على هذا النحو .. تطلعت لزوجها الذي تلثم قليلاً قبل أن يرد :
حسناً .. يمكننا أن نقلل الملح فيما بعد .. ذلك صحياً يبدو أفضل . كانت تشعر
من الوهلة الأولى أن زوجها يحاول أن يرضى أخيه بكل شكل .. و لكن ليس
لتلك الدرجة

فى المساء .. لم يجلس معها كعادته .. كانا يعتادان الخروج لقضاء سهرة
لطيفة .. أو السهر في البيت .. يتناحيان .. يتهاامسان .. يضحكان .. و لكنه
ظل طوال الوقت مع أخيه .. يسأله عن كل شئ مر به في الخارج .. وبدأت
ترى بوضوح نظرات الأعجاب تطل من عيني زوجها لكل شئ يسمعه من
أخيه .. تراه مبهوراً بما يحكيه عن حياته هناك .. عن حريته و جراته ..
عن تجاربه و مغامراته .. ضايقتها الأمر .. و عندما غادرتهما لترد على مكالة
أحد صديقاتها . عادت لتتفاجئ بهما يتكلمان عنها .. سمعته يقول
لزوجها : أنها جميلة حقاً و لكن .. سكنت بمجرد دخولها .. ودت لو تعرف
ما كان سيقول عنها لو لم تقاطعهم ، خاصة أن كلمة لكن تحمل بعدها دوماً

نقدًا ، وإن أرضى غرورها قليلاً أن يصفها بأنها جميلة

و مر يومان .. لم يختلفا عن سابقهما .. أستمز زوجها بالأتصاق بأخيه الذي يهوى القيام بأشياء غريبة لم تعتادها و كأنه يستفزه .. بدأ يزعجها حقاً بتصرفاته .. تلك الأغاني الصاخبة التي يحب أن يسمعها بصوت عال .. تدخينه بشراهه .. الأريكة التي يجلس عليها ممدداً و هو يتناول الطعام .. السهر حتى الصباح .. حديثه المتواصل الذي لا يخلو من كلمات أجنبية لا تفهمها .. و لكن ما ضايقها حقاً .. محاولته لتغيير ديكور المنزل حتى يتلائم مع ذوقه .. و بالطبع رفضت ذلك .. و أخذت زوجها موقفاً سلبياً .. و شعرت أنها وحيدة في منزلها .. حتى الخادمة تطهو له الطعام الذي يحبه .. أو يشتري الطعام جاهزاً .. لم يعد زوجها يتلفه للطعام الذي تطهوه كما اعتاد .. حاولت أن تسترجع زوجها و لكنه كان يذكرها دائماً : لا تنسى أنه أخصى الوحيد .. و ضيفنا .. يجب أن نرضيه بقدر الأمكان طوال الفترة المحدودة التي يقضيها معنا . و تحولت حياتها إلى فوضى .. تحملت .. و كبنت ثورتها .. طالت اليومين لتصبح ثلاثاً .. ثم أسبوعاً فأثنان .. و كانت على وشك الانفجار بالفعل .. بادرته في أحد المرات سائلة بلطف مصطنع و بشكل مباشر : هل تنوى الاستقرار معنا ؟ أجابها ببساطة : تعلمين أنى أبحث عن عروس تشاركنى حياتى .. و قد أبتعت بالفعل شقة في مكان متميز

مؤخراً و أنوى أن أستقر بها فور أن أجد العروس المناسبة ، و لولا أنى لا أحب أن أعيش بمفردى لأنتقلت إلى هناك على الفور . عضت على أسنانها بغیظ و هى تستمتع لأجابته .. و كتمت بصعوبة أمتاعها و مصارحته بمشاعرها تجاهه

ضايقها أن تظل فترة أقامته المزعجة معهم مفتوحة .. و أن شعرت ببعض الارتياح لتأكد أنها سیرحل بمجرد أن يجد العروس المناسبة .. و لكن من هى العروس المناسبة له ؟

شغل ذهنها السؤال كثيراً .. شخص مثله ينتمى بتفكيره و تصرفاته إلى مجتمع غریب يتمتع بحرية مجنونة .. ما شكل فتاة أحلامه .. و أين سیتجه بتفكيره عندما يبحث عنها .. مرت الأيام ببطء ، فكرت جدياً في مساعدته ، و لكنها ندمت على أخذها تلك الخطوة لاحقاً .. كل فترة ترشح له فتاة ما تراها مناسبة .. و كل مرة يرفضها بأدب .. و باءت كل محاولاتها بالفشل بالرغم مما بذلته من جهد .. و كلما بادرت بسؤاله عن سبب الرفض يهز كتفيه بلا أكثرات قائلاً : ظريفة .. و لكنها ليست تلك التي في خيالى . و عندما فاض بها الكيل ، تجرأت ذات يوم و سألته : من هى تلك الفتاة التي في خيالك تحديداً ؟ .. صمت وقتاً غير قصير .. ثم أجاب بإيجاز لم يشفى غليلها : تلك التي تكمل شخصيتى . و تساءلت ماذا يعنى بكلامه .. كانت

تراه بالتأكيد شخصية سطحية تافهة .. يعيش حياته بأنانية .. بلا مبالاة ..
هل يطمح في امرأة مثله تستطيع أن تتعايش مع شخصيته
أسبوع وراء أسبوع يمضى .. و مر شهران بلا جديد .. و زوجها يزيد
أبتعاداً عنها .. و في يوم توجهت مع أحد صديقاتها للنادى للتنفيث عما بها
بعيداً عن المنزل الذي بدأت تشعر فيه لأول مرة بعدم الراحة .. وهناك
قابلت هند .. أخت إحدى زميلاتنا .. تعرفها من فترة قصيرة فقط .. فتاة
متحررة .. جريئة إلى أقصى حد .. عنيدة جداً .. و تتمتع بشخصية
مستقلة .. سافرت مع والدها في سن صغيرة و درست في الخارج لفترة
طويلة .. و عندما عادت كانت أكثر تحراً .. و هنا خطرت لها فكرة لا تعلم
كيف شقت طريقها إلى عقلها بسهولة .. لما لا تجمع بين محسن و هند ..
ربما تكون هي تحديداً من يبحث عنها .. شخصية كل منهما تكاد تكون
متشابهة في كثير من الجوانب .. و كلاهما يتبنى نفس الأفكار .. و الأمر لن
يحتاج منها سوى لتمهيد لائق

تحمست للفكرة .. و سرعان ما بدأت تحاول أن تتعرف على هند
أكثر .. بذلت جهداً كبيراً كي تكتسب ثقتهما و صداقتها .. و عندما نجحت
في كسب ودها ، قررت أن تمهد للموضوع .. في اليوم التالي على العشاء تكلمت
بشكل بدا عفواً عن زميلتها ، و عن أختها هند .. تحدثت عنها بشكل يثير

الأعجاب .. عن ذكائها و لطفها .. عن جرأتها و لباقتها .. عن الوجهة الجميل
المتنرد ، و الروح المتحفزة .. شعرت أن خطتها في طريقها للنجاح عندما
لاحظت خفية عيني شقيق زوجها تلمعان و هو يتابع حديثها بأهتمام ..
نجحت بالفعل أن تلفت أنتباهه .. تعرفه جيداً .. سيرفض بالتأكيد أى
محاولات لفرض فتاة عليه بالطرق التقليدية كما فعل مسبقاً .. و لكن ربما
بتلك الطريقة تنجح في أن تثير أهتمامه و تجعله ينلطف لرؤيتها

و قررت أن تقيم حفلاً في بيتها بعد عدة أيام .. أنتهزت فرصة عيد ميلاد
زوجها .. و كان أول من دعتة صديقتها هند و أختها .. في اليوم المحدد بدأ
توافد المدعون .. ظلت تراقب خلصة شقيق زوجها .. رأت ملامح القلق تبدو
على وجهه بوضوح و هو يصبو نظراته نحو الباب الخارجى من حين
لآخر .. و أبتسمت لنفسها بثقة .. و عندما وصلت هند حاولت أن ترى
أنطباعه و لكنه كان قد أختفى .. ضابقتها الأمر قليلاً .. أسرعت لأستقبالها
بحفاوة و أنضم إليها زوجها .. غادرتهم و ذهبت للبحث عنه .. كان يحادث
شخصاً آخر .. دعتة للتعرف على صديقتها و أختها .. أستقبلهم بهدوء ..
تبادل كلمات قليلة مع أخت صديقتها .. لحظات و سرعان ما أندمجا في
الكلام .. أنسحبت بهدوء و لكنها ظلت ترمقهما بأهتمام و هما يتبادلان
الحديث و يضحكان .. رقص قلبها من الطرب .. و لم يضايقها سوى أنضمام

زوجها إليهم بعد فترة لتبادل الحديث .. كانت تريد أن تتركهما بمفردهما .. وإن أطمئنت أن خطتها في طريقها للنجاح

فى الصباح خرج يوسف مبكراً .. سألته عن المكان الذي يقصده .. أخبرها أنه متوجه للنادى .. لم يعتاد الذهاب لهنالك من قبل .. خمنت أنه سيكون معها .. أعدت الإفطار .. سألت زوجها عن رأيه فى الحفلة .. تطرق حديثهما إلى هند .. أثنى عليها بحماس .. ثم أعقب قائلاً : تبدو كطراز مختلف من النساء لا يمكن لأى رجل أن يراها دون أن يعجب بها .. يوسف يقول أنها تشبهه كثيراً .. يفكران بطريقة متشابهة و يتفقان فى كثير من الآراء . كان هذا بالتأكيد أفضل ما سمعته من مدة .. قررت أن تمضى قدماً فى أنجاح مخططها .. حرصت على أن تدعو هند كثيراً فى بيتها .. لا تترك فرصة إلا و تثنى عليها .. لم تعد تذهب للنادى مع زوجها وأخيه .. تترك الفرصة ليوسف للتعرف عليها هناك أكثر .. أرادت للموضوع أن ينتهى قريباً و تمتنت ذلك فزوجها بدأ يتغير كثيراً كما لاحظت .. يبتعد عنها .. يعبر عن أرائه دون اعتبار لأحد .. لم يعد يجاملها كالسابق .. كما أنه يخرج كثيراً و يسهر لأوقات متأخرة ..

و مرت الأيام سريعاً .. وبدأ كل شئ يسير بنجاح لم تتوقعه .. كانت تعلم من زوجها أن شقيقه يقابل هند كثيراً فى النادى .. و عندما جاءها شقيق

زوجها ذات يوم ليزف إليها خبر عثوره على فتاة أحلامه .. لم تتفاجئ و لم تسأل عن أسمها .. أخبرها بحماس شديد لم تعهده فيه من قبل أنه حدد موعد للقاء أهلها .. سألها مازحاً : لما لا تريدين معرفة أسمها و أنت صاحبة الفضل في لقائى بها . أبترسمت بثقة دون أن ترد . في المساء أنتهزت الفرصة ، قالت لزوجها بدلال : ما رأيك أن نخرج الليلة للاحتفال بهذه المناسبة .. هز رأسه ، همس لها محاولاً تصنع أبترسامة : أنا مرتبط اليوم بميعاد هام لا يمكن تأجيله .. و سأعوضك لاحقاً . هزت كتفيتها في أسف و قبل أن يخرج مال فطيع قبلة على خدها .. قبلة باردة بلا حرارة لأول مرة لا تشعر بها .. و بدأ شئ بداخلها يقلقها لا تعرف كنهه .. بدأت تراجع حياتها قليلاً .. تأثر زوجها في الفترة الأخيرة كثيراً بأخيه .. يتكلم مثله .. يرتدى مثله .. يعتنق نفس أفكاره .. و لكنها طمأنت نفسها أن لكل شئ نهاية .. سيرحل شقيقه إلى منزله الجديد عما قريب كما تأمل .. و سيعود زوجها إليها كما كان .. و يمكن وقتها أن تستعيد حياتها الهادئة السابقة

فى اليوم المحدد أرتدت أجمل ملابسها .. قال لها زوجها مازحاً : العروس ستكون مفاجأة لك .. أبترسمت ولم ترد .. سبقها إلى الباب .. أغلقتة و أتجهت مباشرة إلى المصعد .. سحب زوجها يدها و هو يقول ضاحكاً : لا داعى للمصعد .. سألتة بدهشة : هل هو معطل؟ رد عليها : لا .. و لكننا لن

نحتاج إليه ، لن نذهب بعيداً على أى حال . لم تفهم ما يعنيه .. أسرع و أخيه بأرتقاء الدرج .. تبعتهما بلا وعى .. في الطابق الأعلى توقفاً أمام شقة .. شقة جارتهم .. زادت الدهشة بداخلها .. أستقبلتهم جارتهم بالترحاب الشديد .. قبلتها و هى تدلف للداخل ذاهلة .. لم تعى أى شئ مما يدور حولها .. تم كل شئ بسرعة أفقدتها توازنها .. لم تفق إلا على صوت زغرودة تنطلق من البيت .. غطت أذنيها بيديها .. شعرت أن رأسها سينفجر .. تلك إذن هى المفاجأة .. العروس بنت جارتهم .. الآن فقط بدأت تستوعب كل شئ .. هدى بنت جارتها .. هى من عرفتها عليه .. دعتها إلى حفلة عيد ميلاد زوجها من باب المجاملة .. لم تتعامل معها كثيراً .. خجولة .. متدينة .. تتكلم برقة و تضحك بحساب .. من أسرة محافظة .. تحافظ على مظهرها الجميل بلا تكلف .. ذكية و أفكارها جريئة .. لهذه الصفات لم ترشحها له من قبل .. صحيح أن الفكرة وانتهت من قبل و لكنها كانت تعلم أنه سيرفضها .. كلاهما على النقيض تماماً .. هزت رأسها بعنف .. كيف يجذب الضدان كقطع المغناطيس .. بدأت تفهم الآن سر ذهابه المتكرر إلى النادي ، هدى تتطوع هناك في العديد من الأنشطة الاجتماعية .. سر نظراته المتلطفة وقت الحفلة ، كانت هى من ينتظرها ، ربما رآها من قبل و أنتهز فرصة الحفل للتعرف أكثر عليها .. سر حرصه على الصلاة بانتظام و أقلاعه

عن التدخين في الفترة الأخيرة ، يبدو أنها نجحت في التأثير عليه .. و
أنفجرت الأسئلة في رأسها .. أسئلة بلا أجابة .. عندما عادت للمنزل لم
تستطع أن تمنع نفسها من سؤاله بمجرد أن دلفا للداخل : لماذا هي .. لما
أخترتها بالذات ؟ سكت قليلاً قبل أن يقول : كنت أبحث عن امرأة تكمل
شخصيتي .. أنا أعرف أنني متحرر .. جرى .. كنت أريد امرأة محافظة ،
لديها القوة و الصبر ، تسيطر على تمردي و تقلل من أندفاعاتي .. أنا عنيد و
هي ذكية تستطيع أن تقنعني دون تصادم .. أنا سريع الغضب و هي هادئة
بطبعها تستطيع أن تمتص غضبي و أنفعالاتي العنيفة .. امرأة أتق بها عندما
تربي أبنائي و تشدني إلى حياة الأسرة التي بدأت أفتقدها .. سألتها بلا
وعى : و هند ؟ بدا على وجهه الأندهاش لبرهه و لكنه أجاب سريعاً : هند
مثلى تماماً .. قابلت في الخارج كثيرون مثلها .. لم أعد أشعر بالأنجذاب
نحوهم كما كان سابقاً .. أفكارنا ستتصادم من أول لحظة .. أنا أريد امرأة مثل
أمي .. تحتويني و تعطيني أحساس الرجل الشرقي الذي أفتقدته في الغربية ..
تربي أولادى و تحافظ على بيتي و ليس امرأة أصطدم بها و أعيش معها كأننا
غرباء

عندما فكرت في كل ما حدث .. أستعادت توازنها مرة أخرى .. ردت
لنفسها بسخريّة .. و بما يهمنى بمن يتزوج .. هدى أو هند أو أى فتاة

أخرى .. ما دام سيرحل في النهاية عن بيتي .. وطالما وصلت أخيراً لما أتمناه
و هنا سكنت زميلتنا .. مرت لحظة صمت على الجميع .. فاجأها أحدهم
سائلاً : و ما وجه الغرابة هنا .. صحيح أن ما حدث غريب .. ولكنه ليس
بالقدر الذي توقعناه . أرتفعت همهمات موافقة من الجميع .. أبتسمت
قائلة : أنا لم أكمل قصتي بعد . ساد الصمت مرة أخرى .. أكملت بهدوء
حزين : نعم .. تم كل شئ بسرعة كما أرادت تماماً .. تزوج يوسف و انتقل
إلى شقيقته .. و أصبحت هي و زوجها مرة أخرى لوحدهما أخيراً .. ولكنه لم
يعد زوجها .. ما زال يخرج كثيراً .. يعود في أوقات متأخرة .. نظراته بلا
عاطفة .. كلامه بلا حرارة .. عندما ينام بجانبها لا تشعر بدفء جسمه .. لا
يتكلم معها كثيراً كما اعتاد من قبل ، و لا يبادلها الأهتمام بشئ
حياتها .. و بدأ القلق القديم بداخلها يكبر و يستفحل .. و في يوم بالمصادفة
رأته يهبط من أحد البنايات و هي معه .. تتعلق بذراعه .. يميل على أذنها
فتنطلق ضحكاتهما .. تأكدت ظنونها .. امرأة أخرى .. أتدرون من هي ..
هند .. نعم .. تلك التي سمحت لها بدخول بيتها و فتحت لها الأبواب
بنفسها .. لم تتمالك نفسها .. هجمت عليه .. دافع عنها .. ألقي عليها
الصدمة ببرود بأنهما متزوجان من مدة .. لم تصدق .. عندما أحتواهما المنزل
سألته شبه منهارة عن السبب .. أطرق إلى الأرض قليلاً قبل أن يواجهها :

أنت السبب .. كلامك عنها أثار فضولي لمعرفةا .. طالما تحدثتى عنها بحماس كبير لا يملك معه أى رجل إلا أن يعجب بها .. لم أستطع المقاومة .. وعندما تعرفت عليها وجدت أنها امرأة مختلفة .. امرأة مميزة تثير الإعجاب و الرغبة بالتأكد .. و كما قلت لك من قبل .. هى طراز مختلف من النساء لا يمكن للرجل مقاومته . و سكنت .. أدركت فقط فى تلك اللحظة أنها كانت حقاً السبب .. أن اللوم لا يقع إلا عليها .. و أن الخطأ كان من نصيبها وحدها .. و بالتالى العقاب .. حاولت أن تنقذ بيتها فهدمته .. هيئت الطريق لأمرأة أخرى لأن تشغل قلب زوجها .. أدركت أنها أغبى امرأة فى العالم .. امرأة سعت لتدمر حياتها بحماقتها

سكنت قليلاً .. تنهدت تنهيدة حارة .. ثم قالت : بالطبع كانت الصدمة قاسية عليها .. طلبت هند من زوجها أن يطلق زوجته الأولى ففعل .. كانت مسيطرة عليه بالكامل .. مر عليها وقت طويل بعدها و هى فى حالة صدمة .. تهذى و تكلم نفسها كثيراً .. تعاتبها بغضب .. أمسكوا بها يوماً و هى تحاول أن تؤذى نفسها .. كانت على حافة الأنهيار .. و لكنها قررت بعد فترة أن لا تستسلم .. أسترجعت نفسها ببطء .. و تدريجياً بدأت تعود للحياة .. صحيح أن ما حدث ترك بها آثاراً لا تمحى .. و لكنها ضمدت جراحها .. و أستعادت نفسها مرة أخرى

أنتهت من قصتها .. ران الصمت على الجميع .. كانت الباخرة السياحية قد أقتربت من الشاطئ .. أفاق أفراد المجموعة على بوق السفينة و هو يعلن قرب الوصول .. بدأ البعض التحرك ببطء .. غادروا أماكنهم واحداً تلو الآخر .. توجهوا للطابق الأسفل لمغادرة السفينة و البعض ما زال يعلق على ما سمعه .. كان غريباً حقاً ما سمعته منها .. ظلت جالسة في مكانها دون أن تتحرك .. تأكدت من أنصراف الجميع فنهضت ببطء .. توقفت للتطلع لبرهة إلى صفحة النيل .. كان الظلام سائداً إلا من ضوء النجوم .. لم يتبق سوانا على سطح السفينة .. و مجموعة أخرى من السياح على الجهة المقابلة .. أنتهزت الفرصة فأقتربت منها .. أحست بوجودى .. رأيتهما تمش وجهاً بوجه بسرعة .. لم أتبين إن كانت تبكى .. وقفت أنظر إلى النيل بصمت للحظة .. ألتفت إليها ثم قلت : أريد أن أعرف نهاية القصة حقاً .. كيف أنتهى بها الحال ؟ أبتسمت بشحوب ثم قالت بلا مبالاة : نهاية عادية .. عادت إلى حياتها .. وجدت عملاً .. أصبحت تقضى فيه معظم وقتها .. تحاول أن تبتسم للناس و هى تداوى الجرح النازف بداخلها .. و تستقبل حياة جديدة بقلب محطم .. ما رأيك في قصة تلك المرأة الحمقاء ؟ قلت لها بجرأة لم أظن أنى أمتلكها : هل أعرفها ؟ .. لم تجب .. تجرأت أكثر .. وقفت أمامها مباشرة .. قلت لها بحماس : قصة غريبة و لكنى أرفض النهاية .. لست أراها حمقاء .. بل على

العكس امرأة مخلصه حاولت الحفاظ على بيتها بكل قوة بصرف النظر عما أنتهت إليه الأمور .. بل أظن أنها محظوظة .. لو كان يحبها حقاً ما تخلى عنها في النهاية . لم تتكلم فواصلت بحرارة : من يدري .. ربما ما حدث كان في مصلحة شخص آخر .. شخص آخر يحبها و يتمنى امرأة مثلها .. شخص لن يضحى بها من أجل امرأة أخرى مهما فعلت حتى لو جلبت ألف امرأة إلى منزلها.. لأنه لن يرى ببساطة سواها .. و لن يحلم بأمرأة أخرى و هو معها .. أطرقت للأرض دون كلام .. تابعت كلامي بتهور و أندفاع صادق : شخص مجنون يقف أمامها و هو يصارحها بمشاعره نحوها و ينتظر جوابها .. أبتسمت و هذه المرة لم تستطع أن تمنع دمعة سالت من عينيها .. لم تتكلم و إن كان صمتها يحمل كل الكلام .. أسندت يدها إلى السياج بينما وقفت على مسافة قريبة أرقبها بدفء قبل أن يجذبنا منظر النيل و قد انعكست عليه أضواء الشاطئ

الحاجز

أقتربت من النافذة .. صاحت بفرح : أخيراً جاء

نظرت إليها بغيظ .. راقبتها بدون كلام و هى تعدو مسرعة نحو الباب
ترتسم على وجهها تلك الأبتسامة الطفولية البلهاء .. كتمت دهشتى و لم أشأ
أن أعلق على تصرفها .. ما زال صدى كلامتها يدوى في أذنى و هى تشكو لى
بمرارة من قسوة معاملته .. و منديلها المبلل بالدموع ما زلت أراه عند طرف
المائدة لم يبرح مكانه كشاهد أثبات لا يكذب على معانتها معه .. و الآن
تهرع للقاءه ! .. بل و أشاهدها تغالب شوقها بصعوبة للأرتماء في أحضانه ..
لم يعد يدهشنى سلوكها .. بمجرد أن يتناهى إلى سمعها وقع خطواته حتى
تستجمع نفسها سريعاً .. تنسى أو تتناسى كل ما قالته .. و تستقبله بقلب
صاف تطرح سريعاً منه كل معاناتها السابقة معه .. أعلم أنها تعشقه .. و
لكن هل حبها مبرر كاف يتيح لها أن تمنحه صك غفران مجانى عن كل
أخطائه ، و تضع ما تبقى من كرامتها تحت أقدامه مرة أخرى بشكل مهين
يثير الشفقة

نهضت .. لم تلاحظنى و أنا أتجه للباب بعد أن أنشغلت بتعديل زينتها .. أثرت أن أنسل بعيداً .. لا أفضل رؤيتها و هى ترتدى فى أحضان هذا الذئب .. مسكينة هى .. هل تظن أن غفرانها المتواصل لكل آثامه سيجعل منه إنساناً أفضل ، و أن تقمصها دوماً لدور الشهيد سيرغمه على أن يعيد حساباته .. أناى هو لا يجيد التفكير إلا فى نفسه .. كائن لم يخلق ليعشق أكثر من ذاته و لا يكفى فضاء العالم بأكمله لأستيعاب حجم غروره .. يدهشنى أستسلامها الكامل لأنسان لا يدرك قيمتها و لا يكثرث لأى من مشاعرها التى تغدقها عليه بلا حساب .. بل و يعتمد أن يجرحها بسخاء يوازى مدى عشقها له .. خرجت من عندها بلا كلام ، سمعت وقع أقدامه على الدرج ففضلت أن أستقل المصعد كى أتجنب مقابلته .. لست مثلها .. لا أستطيع التحكم فى مشاعرى و ما يدور فى قلبى يطلقه دوماً لسانى مهما بلغت درجة حدته .. لو قابلته ربما لقنته درساً قاسياً فى كيفية أن يتصرف كرجل و يتوقف عن أهانة من تحبه حتى الجنون ، و قد أندم على ذلك لاحقاً لأنى وقتها ربما أخسر صديقتى

أعرفها من فترة طويلة .. أكاد أجزم بأنها صديقتى الوحيدة .. لا أنكر أنى أخاف عليها خاصة أنها تمتلك قلباً مرهفاً لا يتيح لصاحبه القدرة على التكيف وسط عالم قاسى كعالم البشر .. قلب حساس قابل للكسر لا تلتئم

جراحه من صدمات العالم بسهولة .. تعرفت عليها قبل عامان من زواجها ..
في نفس الوقت تقريباً الذي ظهر في حياتها ذلك المخادع .. أعتدنا أن نقضى
كثير من الوقت معاً و لم نكن نفترق إلا قليلاً .. منذ تعرفت عليه و معظم
حديثها لا يدور إلا حوله .. غرامها المفاجئ به أثار دهشتي .. أدرك سمعته
جيداً .. ذنب نساء لا يسعده أكثر من أن تتضخم قائمة ضحاياه ، و لا يرضى
غروره سوى ممارسة لعبة تحطيم القلوب بلا توقف .. أندفعت في علاقتها
معه بشكل أعمى تجاوز كل الحدود .. أنخدعت بمظهره و كلامه الخادع ..
لم تدرك أنه صائد قلوب محترف لا يجيد أكثر من التنكر في ثوب عاشق
للوصول إلى هدفه .. حاولت تحذيرها منه عدة مرات و لفت أنظارها إلى
ماضيها الملوث لكنها لم تستمع لى .. و واصلت أبحارها نحوه بأستسلام غير
ملقية بالاً بكم التحذيرات التي قابلتها في طريقها

رقيقة هى تفكر ألف مرة قبل أن تتفوه بكلمة يمكن أن تؤذى أحداً .. ما
زلت أتذكر جيداً المرة الوحيدة التي خرجت فيها عن شعورها معى ؛
أخبرتها يومها أنى رأيته بصحبة امرأة أخرى و كنت صادقة تماماً .. لم
تتحمل كلامى و كادت تفقد عقلها .. أرعدت شفتاها و هى ترمينى بالكذب
و أتهمتنى بقسوة بأنى أغار منها .. ظهر الأنفعال على وجهها واضحاً قبل
أن تنفجر في بكاء طويل .. طلبت منى وقتها لأول مرة أن أفارقها .. رغم قوة

صداقتنا إلا أنها كادت أن تنهار بسبب مكاشفتي لها بحقيقته ، و أستغرق الأمر وقت طويل حقاً لنعود كما كنا .. تعمدت من وقتها أن أكتُم أتهاماتي و شكوكي تجاهه ، و أن أتجنب إثارة الحديث حول خياناته لها مرة أخرى حاولت أن أحذرهما من أن تندفع في علاقتها معه دون فائدة .. قرأت أن الحب أعمى و لكنني لم أدرك أنه بهذا الغباء .. من أول لحظة في علاقتهما و هو يعاملها كدمية يحركها كيفما يشاء .. أستغلها كثيراً .. بريئة هي في زمن تصبح فيه البراءة عيباً جسيماً يسعى الجميع لمداواته ، و عبثاً يسعى أى شخص للتخلص منه .. لم تعتاد التعامل مع أمثاله و التلون مع كل شخص كما يجيد البشر .. كانت مجرد رقم بالنسبة له يضاف إلى قائمة مغامراته يرضى غروره فيما بعد .. و لكن الأمر تغير بعد أن أدرك قيمة ثراء والدها .. لم تكن لها تجارب أو خبرات .. مجرد حب ساذج على فترات من حياتها لم يرتقى لتلك الدرجة .. خطط لحرب طويلة ليوقعها في شباكه و لكنها أنهزمت من أول جولة .. أعلنت أستسلامها بعد أن نجح في أن يحرك قلبها للمرة الأولى في حياتها .. أندفعت معه بكل مشاعرها .. وفتت بجانبه و ساعدته بلا حدود .. ألححت عليها كثيراً لأعادة التفكير في علاقة مصيرها الفشل .. ليست علاقة الحب هي ما تنشأ عادة بين الحمل و الصياد و لكنها لم تستمع إلى .. لا أنكر أني كرهته من اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناى

عليه .. و لكن القلب الذي يعيش تشير بوصلته دوماً باتجاه من يحب فيبحر نحوه حتى لو أدرك أن اتجاهه خاطئاً ..

بعد زواج سريع عارضه أهلها دون فائدة ، أنتقلت للسكن بجوارها ..
أزدادت صداقتنا عمقاً بعد أن أكتشفت متأخرة بعد زواجها أن له مخالباً و أنياباً .. لم أشأ أن أتخلى عنها أنا الأخرى و أتركها في مواجهة محنتها معه بمفردها .. لو فعلت لأنهارت بلا جدال .. ما زلت الأذن التي تتلقى بصبر كل شكواها و القلب الذي يتسع ليشاركها محنتها .. صدمتها فيه بعد الزواج كانت أكبر من أن تتحملها فانطوت أكثر .. أزدادت نحولاً و ضعفاً مع الأيام و أنا أشاهدها عاجزة .. بدأنا نلتقى بشكل متكرر في الفترة الأخيرة .. تلجأ إلى عقب كل شجار بينهما لعلها تسكب بعض مما بداخلها أمامي .. بمجرد أن ينصرف حتى تهرع للاتصال بي و تفرغ في حضوري كل مشاعرها السلبية .. تستعيد بعدها قليل من هدوئها و قوتها لفترة فتتمكن من مواصلة الحياة معه و تحمل أهاناته المستمرة ..

أشعر بالمرارة من خياناته المتكررة لها .. مرارة تدفعني لمحاولة رعايتها أكثر .. بداخلها طفل صغير يحتاج دوماً إلى عناية لم يفتطمع على مواجهة عالم تملئه الخيانة .. أشعر بكل ما تقاسيه و أقف عاجزة عن مساعدتها .. كثيراً ما تساءلت .. إلى متى تتحمل كل ذلك .. أستقبلت حياتها معه في

البداية بأشراق على أمل أن يعوضها فزاد من عمق جراحها .. حقيقته الصادمة لها أفقدتها حيويتها وأتزانها فذبلت مع مرور الوقت .. صبرت على أختيارها و تحملت نتائجها لفترة بشجاعة لم أظن أنها تمتلكها .. حاولت أن تستعيده أكثر من مرة و لكنه رفض كل قيودها .. هرب منها بعد أن أكتشف أن دجاجته التي خطط طويلاً لأصطيادها لم تعد قادرة أن تنتج و تمنحه كالسابق بيضاً ذهبياً ، خاصة بعد أن هجرها أهلها .. خلق في سمائه بمفرده بعيداً عن فريسة تركها عاجزة عن الطيران .. تحول حبها إلي جنون ، فأستسلمت له لعله يكون أرحم من واقع أشد ألماً لا تجد خلاصاً منه ..

أنتابني اليأس ذات مرة من إصلاحها فوجهت لها كلاماً حاداً لا أدرك كيف تفوهت به ، و أتخذت قرارى بأن أواصل حياتى بدونها .. لم يعد هناك أمل أنتظره في إصلاحها .. و لكنى علمت لاحقاً أنها أنهارت و وقعت فريسة سهلة للمرض فلم تقدر حتى على مغادرة الفراش .. ذات شفقتى نحوها و صممت أن لا أتخلى عنها مجدداً .. حاولت أن أساعدها .. ضغطت كثيراً عليها و بشكل مستمر حتى لجأت أخيراً لأهلها تشكو منه .. و لكنهم فضلوأ عدم التدخل بعد أن أختارت طريقها بنفسها .. و لم تكرر المحاولة مرة أخرى

حكمتى عليه كان صائباً من البداية و تزيدنى الأيام قناعة به .. أنسان

مختل وجد فريسة سهلة فلم يتردد في التلاعب بها .. في أحد المرات أرتنى آثار ضربه لها .. لم أصدق أن يصل تهوره وأستهانته بها لتلك الدرجة .. لم أتمالك نفسى .. أنفجرت فيها .. بكيت بحرقة و هى تعدنى أن لا تقف ساكنة أمام همجيته الغريزية معها مرة أخرى .. كنت أعلم أنها تكذب و أنها ستواصل التخاذل أمامه .. وددت لو أذهب إليه و ألقنه درساً لا ينساه طوال عمره و لكنها منعتنى بصعوبة .. لو كان الأمر بيدي لأقدمت على أى تصرف لأحطم غروره حتى لو وصل الامر إلى أن أحطم رأسه بيدي ..

فى مساء ذلك اليوم تلقيت اتصالاً منها .. لم أفهم معظم كلامها فهرعت إليها على الفور .. تفاجئت بها .. لم أتعرف عليها للوهلة الأولى .. أعز صديقاتى ترتضى أمامى فى حالة يصعب وصفها .. تنتفض خوفاً و تنتفس بصعوبة .. ملابسها ممزقة و الدماء تسيل بغرارة من جرح أعلى شفتيها فتندفع لتغطى النصف الأسفل من وجهها و رقبتها .. و كدمات حديثة تنتشر بوضوح على ذراعيها و أسفل عينيها .. بمجرد أن رأتنى حتى أنهارت أرضاً .. أسرعرت لنجدتها .. لم تكن فى حالة من الوعى تسمح لها بأن تتكلم و لكنى أدركت ما حدث .. أنتابنى غضب لم أستطع تجاهله .. كنت أكره هذا الشخص من قبل و الآن لم أعد أحتمل وجوده بيننا على أرض واحدة .. حاولت أن تستجمع نفسها لتتكلم و بذلت مجهوداً لذلك فلم تستطع .. ذهبت

لأحضر بعض الماء و عدت لأجدها فاقدة الوعي .. مددتها على الأرض و تركتها ملقاة كجثة أقرب منها إلى عالم الأحياء ، و لم أفكر سوى في شئ واحد .. أندفعت إليه بلا منطق .. أندفعت كالمجنونة بقوة مشاعر حجزتها لفترة طويلة .. سمعت صوته من غرفة المكتب فتوجهت لهنالك .. أفتحمت المكتب بثبات .. رأيته يدخن و يحدث شخص ما على الهاتف بصوت عال .. من صوت ضحكاته أدركت أنها أحد عاهراته .. أنهى المكالمة بمجرد أن أفتحمت المكتب بشكل مفاجئ .. أندھش لوجودى أمامه بهذا الشكل .. لوح بيده و صاح بكلمات غاضبة لم أتبينها فلم أعد قادرة على سماع شئ سوى صوت خفقات قلبي العالية ، و أنين صديقتى الذي ما زال يتردد في أذنى .. نظرت إليه بثبات و الشرر يتطاير من عيني .. توقف عن كلامه و أنهى مكالمته بسرعة .. تطلع إلى لبرهة ثم تقدم نحوى ببطء و هو يبتسم بسخرية أشعلت مزيداً من النار في قلبي .. رغم غضبي تجمدت في مكانى و لم أعرف كيف أتصرف .. تذكرت كل ما حدث لصديقتى .. كل أهاناته المستمرة لها و عذابها على يديه .. و كرهى و بغضى الذي أكنه له من فترة ليست بالقصيرة .. راقبته يدنو منى ببطء .. أقترب منى و أبتسامة أستهتار تتراقص على شفتيه حتى وقف بمواجهتى تماماً .. مد يده تجاهى محاولاً أن يلمسنى .. تطلع لوجهى لثوان ، ثم تحسس خدى دون أن أتحرّك .. شعرت

بلمسة يده الباردة .. أقشعر بدنى لكنى لم أتحرك .. تجمدت أطرافى
فجأة .. أغمضت عيني لبرهه و هو يواصل لمس خدى .. شعرت بتخاذل
فتراجعت لخطوة بأستسلام .. شعرت بأنفاسه الحارة تنعكس على وجهى ..
ألتصقت بالمكتبة من خلفى .. لم أشعر إلا و يدي تتحسس تمثال صغير ،
تمثال معدنى على هيئة فتاة راقصة على رف المكتبة .. تشبثت به بسرعة ..
تنفست بعمق لبرهه .. فتحت عيني ثم بسرعة رفعت التمثال بيدي عالياً
لأهوى به عليه .. ولكنه حمى وجهه بيديه و تراجع في رد فعل سريع قبل
أن أحكم ضربتي فلم يصب بأذى كبير .. رأيت نظرات الغضب تطل من
عينيه .. أندفع نحوى .. تراجع خطوة للوراء و في تلك المرة أحكمت
قبضتى على التمثال حتى أصبح كأنه قطعة من يدي .. ما أن أندفع نحوى
حتى حطمته على رأسه .. تلك المرة ترنح و بدأ خيط من الدماء يندفع متعرجاً
من مقدمة رأسه .. تحولت نظرة الغضب التي كانت ترسم على وجهه إلى
ذهول و يده تتحسس بلا وعى السائل الأحمر اللزج .. أنسال الدم بعدها
غزيراً .. لم أشأ أن أتوقف .. تراجع خطوات فدنوت منه و بيدي التمثال ..
قبل أن يفيق من صدمته رفعت التمثال لأعلى قدر أمكنى .. تريثت لبرهه ثم
هويت به عليه .. صوت مكتوم أنتشيت به .. كررت الضربة دون أرادة أو
وعى .. لم أعرف كم مرة رفعت يدي و أنهلت عليه .. حتى بعد أن خمدت

حركته تماماً واصلت ضربى له حتى خارت قواى .. نهضت وأنا ألاحق
أنفاسى بصعوبة .. تسارعت نبضات قلبى بشكل لم أختبره به من قبل ..
غطت الدماء وجهه و تناثرت على جسمى و ملابسى .. نهضت ببطء ..
مشيت لحظات فترنحت و كدت أسقط .. تمايلكت نفسى بصعوبة .. نظرت
للجثمان الغارق في الدماء بلا شعور .. تقدمت نحو الباب و أنا أستند على
جدران المكتبة .. قبل أن أخرج لمحت أنعكاس صورتى في المرآة .. شئ ما
جذب أنتباهى للعودة إليها .. تقدمت للمرآة و وقفت أمامها لثوان أتطلع
لنفسى دون وعى .. وجه محتق و يدان ترتعشان و فم مرتجف لكن عينائى
تلمعان بشكل غريب لم أره من قبل .. تطلعت للمرآة مرة أخرى بعمق بعد أن
أقتربت منها أكثر .. ثم أرتسمت على وجهى شبح أبتسامة ضئيلة رأيتها
بوضوح

الغريب أنى لم أعد أرى صورتى في المرآة .. كانت تنعكس عليها صورة
أمرأة أخرى أشبه بصديقتى ، امرأة يديها تقطر دماً و كدمات تملو وجهها و
ذراعيها .. على شفتيها أبتسامة ضئيلة .. و خيط من الدماء ينساب بوضوح
من جرح صغير أعلى شفتيها

المقلب

-أنا لا أفكر في هذا الأمر .. أبعدا عني

هكذا قالها محمود و هو يشير لنا بالأبتعاد .. و لكن كان في عينيه نظرة
أقتناع بما نقوله يحاول أن يخفيها .. غمرت لمحسن في يده خلسه لكى
نواصل عليه الضغط حتى يقع في الحيلة الجديدة التي دبرناها له
نحن الثلاثة أصدقاء منذ الطفولة .. نسكن في حارة واحدة .. محمود
يصغرنا بعام واحد .. درس في الأزهر و والده أمام مسجد حارتنا البسيطة ..
نشأ طبيباً مثل أبيه .. يتعامل مع الناس بالفطرة و بحسن نية أوقعته في كثير
من المشاكل .. لا نكاد نفترق .. نتقابل أحياناً للصلاة في المسجد فنصلى وراءه
خاصة أن صوته جميل .. يطلقون عليه في حارتنا الشيخ محمود رغم صغر
سنه .. خبرته في الحياة قليلة و لم تعركه الدنيا بعد .. و لذلك كان صيداً
سهلاً لأثنان من العابثين مثلنا أنا و محسن

قال لنا أحد جيراننا من قبل : أنتما شيطانان .. أبعدا عن المسكين محمود
و لكننا كنا نتسلى فقط .. كنا نضايقه و ندبر له العديد من المقالب ..

نعترف أننا في بعض الأحيان كنا نتجاوز الحد .. نوقعه في مطبات صعبة و لكننا لم نقصد من وراءها سوى الضحك .. صحيح أنه كان يغضب منا أحياناً و لكنه سرعان ما ينسى و يسامحنا .. لا يستطيع أن يحمل في قلبه أى شعور سئ تجاه أحد .. و لا في عقله متسع لبذرة من خبث أو دهاء .. و هذا ما كان يشجعنا

نتذكر يوم أن قرر الذهاب للقاهرة لأول مرة .. أقنعناه بركوب القطار .. حزننا له التذكرة .. أوصلناه إلى القطار .. ناولناه الحقائق و ودعناه .. أنطلق القطار و هو يشير لنا .. و أنطلقت معه ضحكاتنا .. لم يعرف إلا بعد ساعة أن القطار كان متجهاً لأسبوط .. يومها أقسم أنه لن يكلمنا .. و لكنه لم يستطع و صام ثلاثة أيام .. و لم نستطع نحن أيضاً أن نتوقف عن مواصلة مقالبنا له

فى تلك المرة كان الأمر مسلياً في البداية .. مجرد لعبة .. لا أعلم متى بدأت تحديداً .. كل ما أتذكره أننا أجتمعنا في أحد الأيام بعد الانتهاء من صلاة العشاء .. جلسنا نتجاذب الحديث كعادتنا في عدة موضوعات قبل أن يأتى موضوع الرؤيا الصالحة في سياق حديثنا .. و بدأ كل منا يحكى عن رؤية غريبة رآها في منامه من باب التسلية .. كنا نحكى و نحن نضحك .. و جاء الدور على محمود .. نظر للأرض و سكنت قليلاً فشجعناه على مشاركتنا

بالحديث فأمتنع لبرهه قبل أن يستجيب مضطراً تحت ألحاحنا المتواصل..

فى تلك الفترة أنتشرت بشكل مكثف على الفضائيات برامج عن تفسير الأحلام .. و كان نعلم أن محمود بدأ فى الأونة الأخيرة ينجذب إلى عدد من تلك البرامج و يصدقها .. بل و يتابعها و يدافع عنها بحماس .. بينما كنا نسخر منها أنا و محسن .. و نراها وسائل للنصب على الناس .. و مجرد هراء لا طائل منه .. أبتسم محمود فى براءة عندما حان عليه الدور .. حكى لنا بعفوية عن رؤية غريبة و انتته من فترة قصيرة فقط .. كان يحكى أنه رأى فتاة يعرفها من جيرانه .. و قد أبتسمت له ثم كشفت عن شعرها أمامه رغم المعروف عن تدينها و بعدها مدت له يدها بشئ لا يتذكره و هى تصافحه ، قبل أن تختفى سريعاً من أمامه .. روى لنا الأمر ببساطة شديدة و بتلقائيته المعهودة .. و ظل بعدها يستغفر كثيراً و كأنه ارتكب خطيئة ما .. لم يهتم محسن بما قاله محمود .. مثل تلك الأحلام كنا نراها كثيراً .. خيالات مراهقة تنتابنا أحياناً .. و ربما كان محمود فى واقع الأمر معجباً بتلك الفتاة يكتم أعجابه فحلم بها بلا وعى .. و هنا فقط واتتنى فكرة لا أعلم كيف شقت طريقها إلى عقلى بسهولة .. مقلب جديد ربما .. و هو الذى منحنا الطعم تلك المرة الذى نصطاده به .. ساد الصمت بيننا لبرهه بعد أن أنهى محمود كلامه ، فسألته متصنعاً البراءة إن كان يعرف تلك الفتاة و أهلها جيداً .. أجابنى

بحماس : بالطبع .. جيراننا منذ أكثر من خمس سنوات .. رأيته يقترب من
الفخ أكثر .. سألته بأهتمام أكبر : و هل تشهد على أخلاقها .. رد بحسن
نية : أكيد .. بنت ممتازة دون أدنى شك

لم يفهم محسن سبب أسألتى .. غمزت له أن ينتظر و تعمدت الصمت ..
تظاهرت بالتفكير لبرهة .. أستغرب محمود طول سكونى على غير العادة
فسألنى عما أفكر به .. هزئت رأسى متصنعاً الحيرة قبل أن أقول بهدوء :
يبدو من الحلم الذي حكيمته يا محمود أنه رؤية صالحة..

رأيت ملامح الدهشة ترتسم على وجهه بوضوح ، لم يتمالك نفسه
فسأل : هل أنت متأكد مما تقوله .. كيف ؟ .. نجحت في إثارة فضوله إذن ..
أردفت : ألم تكن تتكلم منذ قليل عن الرؤية الصالحة .. هذا الحلم به كل
شروط و علامات الرؤية الصالحة كما نعرفها بكل تأكيد ..

نظر إلى لبرهه دون أن يتكلم .. رأيته و قد بدأ يفكر في الأمر .. لم أمهله
طويلاً فملت على أنه قائلاً : أتعرف ما هو التفسير المحتمل له ..

أكتسى وجهه بفضول لم يستطع أن يخفيه .. أقترب منى أكثر يترقب
أجابتنى بشغف .. قلت له مبتسماً : هذا الحلم ربما يكون علامة مؤكدة
بالنسبة لك يا محمود..

سكت فلم يتكلم .. وجدته يصغى إلى بكل جوارحه .. أكملت بحماس و

أنا أميل على أذنه : علامة على أنك ستقترن بتلك المرأة في المستقبل .. ربما ستزوجهما عما قريب كما يبدو

حاول محسن أن يكتم ضحكة كادت أن تخرج منه وقد فهم ما أرمى إليه .. رمقني محمود بأستنكار تام محاولاً أن ينهض بعيداً عني .. أقتربت منه .. لن أدع تلك الفرصة تفلت مني .. شددت على يده ثم سألته فجأة : أين تكشف المرأة شعرها ؟ .. لم يرد .. أردفت مجادلاً : أليس في البيت .. أمام أهلها أو زوجها ؟ أجابني بعد تردد : صحيح .. أكملت مفسراً : أنت لست من أهلها بالطبع حتى تكشف عن شعرها أمامك .. إذن لا بد أنك زوجها في الحلم لتقوم بذلك دون حرج .. كما أنها صافحتك بيدها وهذا دليل واضح على الارتباط .. وأعطتك شيئاً ما ربما يكون خاتم الزواج أو موافقتها على الأمر .. وأنت بنفسك أثبتت على أخلاقها .. وقلت أنهم جيرانك من فترة طويلة .. هذا الحلم علامة واضحة لا تقبل الشك على أنك ستزوجهما ..

فهم محسن الحيلة الجديدة .. كنا نتسلى فقط .. كنا نعرف محمود خجولاً ولم يفكر في الزواج من قبل .. كما أننا كنا ننتقد فكرة أيمانها الغريب بتفسير الأحلام .. وفي الواقع لم نكن نعرف الفتاة التي يتكلم عنها .. كل ما نعرفه أنها من عائلة ميسورة الحال و تقدم لها كثيرون بالفعل من قبل و لكنها رفضت كل من تقدم إليها .. كانت سترفض محمود قطعاً فمحمود لا

يملك من حطام الدنيا أى شئ يشفع و لو قليلاً لصاحبه .. أرتبك محمود قليلاً بسبب كلامنا و هذا دليل ظاهر على أنه بدأ ينخدع به .. سرح ببصره بعيداً .. ربما كان يتخيلها الآن زوجة له .. أفاق سريعاً .. هز رأسه بعنف بعدها قبل أن يصيح بغضب محاولاً إنهاء الحديث : لا .. أنا لا أفكر فيها إطلاقاً .. أبعدا عنى

نهض من مجلسه فجأة .. تطلع إلى طويلاً محاولاً أن يتبين مدى جديتى .. تصنعت الجد .. طلب بحسم أن لا نخوض في هذا الأمر مرة أخرى سرنا معه بصمت .. أدركنا بوضوح أنه لم يقتنع بكلامنا بعد .. لم نياس بطبيعة الحال .. كل ما سنحتاجه فقط بعض الوقت و لكننا سنتمكن في النهاية من أفنائه .. نعرفه جيداً .. عرضنا عليه بتحدى قبل أن ينصرف أن نسأل أحد الشيوخ من المهتمين بتفسير الأحلام .. فكر لبرهه ثم وافق بعد تردد .. أتفقنا على هذا الحل

بمجرد أن أنصرف حتى انفجرنا في الضحك أنا و محسن .. و تخيلنا شكل محمود بعد أن يعرف الحقيقة .. ربما ستكون صدمة له تدفعه للتفكير أكثر من مرة و بموضوعية أكبر في المستقبل قبل أن يصدق أى خرافات يسمعها فيؤمن بها

فى المساء التالى أستعان محسن بأحد العمال .. رجل أشيب يبدو عليه

الوقار يعمل كحارس بسيط في نفس الشركة التي يعمل بها محسن كمحاسب .. وأدعى أنه يجيد تفسير الأحلام .. في البداية تردد محمود في قص أى شئ مما حلم به .. تردد طويلاً في الواقع قبل أن يحكى في النهاية عن حلمه للتخلص من ضغطنا المتواصل عليه .. بالطبع أخبره صديقنا بما أردنا .. ولتأكيد الأمر أكثر .. حكى له عن أحلام كثيرة مشابهة فسرناها وظهر صحة تفسيره لها فيما بعد .. لم يصدر عن محمود رداً وإن كان واضحاً أن اعتراضه على الأمر بدأ يقل

ظللنا عدة أيام نلح عليه .. في أحد المرات زل لسانه .. صاح بنا : كيف أتقدم إليها و أنت تدركون جيداً مدى ثراء عائلتها ، و أنا لست كفؤاً لها بأى حال .. أخشى أن أقابل بالرفض من أهلها إن فعلت . فضح محمود ما بداخله ببساطه .. أدركنا أنه بدأ يفكر في الموضوع بجدية .. و أن خطتنا نجحت

كنا بالطبع ننوى أن نخبره أنها مزحة في الوقت المناسب .. و لكن حدث كل شئ بعدها بسرعة كبيرة .. سافرت أنا للخارج في بعثة دراسية بعد عدة أسابيع .. بينما تحصل محسن على عقد عمل في أحد الدول العربية .. نسينا الموضوع تماماً أو أنشغلنا به وسط استعدادنا للسفر و أنهمكنا في الأعداد لخوض تجربة الغربية و بدء حياة جديدة طالما سعيينا إليها .. كنا نوقن أن محمود لن يفكر بالموضوع مرة أخرى .. و أنه سينسى الأمر برمته بمجرد

أبتعادنا عنه .. تراسلنا في البداية لفترة ثم انقطعت أخبارنا عن بعضنا البعض تماماً بعد سنوات قليلة

جرفنا فيضان الغربة .. وشغلتنا مشاكل الحياة عن التفكير إلا في أنفسنا .. عندما رجعت بعد عدة سنوات في أجازة قصيرة كان أول ما حرصت على القيام به هو السؤال عن محسن و محمود .. أكتشفت أن كل منهما غير مكان سكنه .. سألت عن محسن أولاً .. عرفت أنه عاد للوطن منذ شهور قليلة .. وجدت عنوانه بصعوبة بعد أن سألت أحد أقرابه .. ذهبت إليه على الفور يدفعني الشوق لرؤيته .. قابلته في مكان عمله الجديد .. بمجرد أن رآني حتى هرع إلى لقائي بحرارة .. جلسنا بعدها نتكلم بشغف و نحن نستعيد ماضيها .. أدركت من الوهلة الأولى أن صديقي تغير حقاً .. شاب شعره و فقد مرحه القديم المحبب و أختفت تلك الأبتسامة الجميلة التي كانت تميزه .. من الواضح أن سنوات الغربة تركت آثارها القاسية عليه .. تحاورنا طويلاً .. عرفت منه أنه عانى كثيراً في غربته قبل أن يعود بمبلغ مالى لا بأس به يحاول أن يبداً به حياة جديدة هنا .. بدأ مشروعاً صغيراً يعمل به طوال اليوم بلا راحة .. صارحته بدورى أننى لا أستطيع العودة و الاستقرار في الوطن قريباً رغم تلهفى و شوقى لذلك الأمر .. لن أتمكن من العثور على عمل هنا يوفر لى نصف ما أتقاضاه بالخارج .. و لا نفس المكانة

بالطبع أو حتى أخرى قريبة منها .. من الواضح أن الحياة أصبحت صعبة
حقاً على كلاً منا

بدأنا نستعيد ذكرياتنا .. تذكرونا محمود .. ضحكنا .. سألت محسن
عنه .. أخبرني أنه تحصل على عنوانه الجديد من فترة طويلة لكنه لم
يستطع زيارته بسبب أنشغاله في مشروعه الجديد و إعادة ترتيب حياته بعد
سنوات الغربة .. لم نفكر طويلاً كعادتنا .. و قررنا أن ننطلق لزيارته في
أقرب وقت

فى اليوم القالى توجهنّا لزيارته ، كان العنوان فى حى راق .. عندما سألت
طفل يلهو فى الشارع عن العنوان أشار إلى عمارة شاهقة .. نظرنا لبعضنا ..
قلت لمحسن : هل يمكن لمحمود أن يسكن أحد شقق تلك العمارة الفاخرة ..
لا بد أن الله قد رزقه من وسع .. سألت الطفل عن رقم شقة محمود .. تطلع إلى
بعدم فهم لبرهه قبل أن يجيبنى فى براءة بأنه هو صاحب العمارة

تملكنا الذهول للحظات .. ساد الصمت بينا لثوان .. أشرت لمحسن الذى
تسمر فى مكانه من المفاجأة .. أقتربنا من البناية .. سألت البواب عن
صاحبها .. أستئذنا لينادى على "الحاج محمود" .. غاب عنا فى الداخل
سريعاً فلم نستطع أن نوجه له مزيد من الأسئلة تشيع فضولنا .. لحظات و
كان محمود يقف أمامنا .. بمجرد أن رأنا حتى أستقبلنا بترحاب شديد .. لم

نصدق أعيننا عندما رأيناه .. أمتلاً جسمه قليلاً و شاب شعره لكنه ما زال يمتلك تلك الأبتسامة الصافية .. يرتدى عباءة فاخرة يفوح منها رائحة عطر غالى بينما يده كالعادة تداعب مسبحته .. نفس مسبحته القديمة كما نتذكرها .. دعانا بالترحاب إلى شقته الفخمة .. بدأنا نسترجع ذكرياتنا بشوق .. سألنا عن أخبارنا .. لم يتغير قلبه .. ما زال طيباً كما كان .. نقياً كما عهدناه من قبل .. مر الوقت سريعاً فلم نشعر به و نحن نتكلم و نضحك من قلوبنا .. تكلمنا عن المقلب التي كنا ندبرها له فكان يضحك معنا بعفوية بلا غضب .. و لكن ظل تساؤل هام يدور في أذهاننا و يلح علينا .. سألت محمود فجأة : من أين لك كل هذا يا شيخ .. لا تقل لى أنك ورثت

ضحك بعفوية .. رد ببساطة : أنتما السبب

رددت في دهشة : نحن .. كيف ؟ قال بتلقائية : نعم .. أسند ظهره للوراء .. أبتسم في مرح .. سأل بهدوء : أتذكرون المرأة التي قلتم لى أننى يجب أن أتزوجها .. جارتنا التي رأيتموها في الحلم.

لبرهه لم أتذكر قبل أن أستجمع أفكارى .. كنا قد نسينا هذا الأمر مع مرور الوقت .. أسقطناه من حساباتنا تماماً .. قطع أفكارى و هو يكمل : لقد تزوجتها .. نعم .. أقتنعت بكلامكما بعد فترة أنها رؤية صالحة .. تقدمت إلى أهلها بعد تردد طويل و أنا أقدم ساقاً و أواخر الأخرى .. من الغريب أنهم

وافقوا رغم قلة أمكانياتى المادية .. والدها رجل متدين و قال أنه يهيمه الأخلاق في المقام الأول ، لكنى علمت لاحقاً أن الفضل في ذلك يرجع في الواقع إليها .. لم تبدى اعتراض على طلبى ليدها كما حدث مع كل من تقدم إليها من قبل فلم يملك والدها إلا الموافقة .. بعد وفاة والدها .. ورثت مبلغاً بسيطاً من المال أدخرناه وقطعة من الأرض كبيرة .. قطعة أرض زراعية على مدخل المدينة أهملناها لفترة .. بعد عدة أشهر دخلت الأرض في حيز العمران .. قدرت ثمنها بمبلغ كبير .. بعناها فوراً بلا تردد .. كان أول ما فعلناه أن سافرنا للحج وأنا وهى .. ثم بنينا تلك العمارة بكل ما معنا .. الحمد لله .. لا أنكر أن الله رزقنا من فضله .. و لا يمكننى أن أنسى بالطبع ما حييت فضلكما خرجنا من عنده بعد ساعة أو أكثر فأصر أن يصحبنا للخارج بنفسه .. ما زلنا في حالة ذهول مما سمعناه .. لم نشأ أن نخبره أنها كانت مجرد مزحة .. مقلب آخر لنضحك عليه .. سألتنى محسن هامساً ونحن في طريقنا للخارج : هل ستخبره بالحقيقة ؟ لم أرد .. أى حقيقة .. لم أعد أجد تفسيراً لما حدث .. أنصرفنا نجهد أذهاننا ونحن نستعيد ونفكر في كل ما سمعناه بينما محمود ما زال يقف أمام بنايته الضخمة ليودعنا مبتسماً وهو يداعب حبات مسبحته القديمة

الصيد و السمكة

حمل شبكته و خرج ليصطاد ، كان يتمنى أن يرجع اليوم بصيد كبير ،
لم يأكل منذ ثلاثة أيام ، تطلع للشباك بترقب يكاد يتوسل إليها ، لن يتحمل
الجوع أكثر من ذلك . كثيراً ما مرت عليه أيام مماثلة يخرج و يرجع خالى
الوفاض و لكنه يمنى نفسه اليوم بصيد وفير يعوض به جفاء البحر طيلة
الأيام الثلاث الماضية .. و إلا سيضطر إلى بيع شبابه ، كل ما يمتلكه من حطام
الدنيا . بدأت الشمس تظهر في الأفق و تعكس أشعتها المبكرة على سطح الماء
، رمى الشباك لأول مرة ، فعادت إليه خاوية ، عاود المحاولة بجهد أكبر و
في كل مرة تخرج له كما رماها كأنما تعانده . زاد القلق بداخله مع مرور
الساعات بلا جديد يحمله إليه البحر . قرص الشمس الآن يتوسط السماء و
حرارته تلهب جبينه ، و البحر الواسع يصير على أن يبخل عليه برزقه ،
واصل العمل بجهد مضاعف حتى أوشك النهار أن ينقضى و لكن ما زال البحر
يقف ضده بأصرار ، تطلع لصفحة المياه بأحباط ، لا مفر إذن من بيع الشباك .
لم يشعر بمرور الوقت إلا عندما بدأ يرى الأشياء بصعوبة ، أعياه التعب ،

حتى لو أصطاد الآن لن يتمكن من بيع سمكه بعد أن أنفض سوق السمك ، مع ذلك قرر أن يرمى الشباك للمرة الأخيرة بدافع اليأس ، تركها في المياه لمدة أطول ، جلس بجوارها يفكر ، يرسم أحلاماً لعلها تنسيه جوعه ، تمنى لو تخرج له في تلك اللحظة جنية البحر لتنقذه ، كثيراً ما سمع البحارة يتناقلون أخبارها ، تخرج في أى صورة لصاحبها ، لم يرها أحد من قبل ، على الأقل ممن يعرفه ، لكنهم يزعمون أنها تلبي لصاحبها كل مطالبه . هكذا كانت الأسطورة تتناقل . تمنى لو تخرج له وقتها فيطلب منها طعاماً و شراباً ، ولا بأس ببعض المال ، يريد أن يسكت أنين معدته ، و يشعر بدفء جيبه بعد طول فراغ . أفاق من تأملاته بعد أن بدأ الظلام يبسط أريدته القاتمة على المكان ، أسرع بإخراج الشباك من البحر ، لا يدري هل هو من تأثير الجوع أم من حرارة الشمس التي ألهمت رأسه طوال النهار ، أخرج الشباك بحماس و هو يتوقع أن تخرج معها جنية البحر ، يتصورها امرأة جميلة ذات شعر طويل أصفر و لها ذيل سمكة ، عيونها زرقاء بلون البحر تسحر من يراها ، هكذا كانت والدته تصفها عندما تحكى له عنها . سحب الشباك بقوة و قد دب نشاط مفاجئ في جسده .. و لكن الشباك عادت إليه خاوية .. تماماً كمعدته .. شعر بقليل من خيبة الأمل لكنه سرعان ما أفاق من أحلامه ، لم يعد يستطيع رؤية يديه بسبب الظلام ، أسرع بطريق العودة إلى

الشاطئ . سيبيع الشباك الآن ويشتري بثمنها طعاماً ، وقد يسهر على المقهى الليلة مع الرجال.

رسا بالقارب ، بدأ يللم شبكته عندما لاحظ شئ ما خطف أبصاره ، شئ لامع ، تنعكس أضواء الشاطئ البعيدة عليه فتجذبه ، أقترب من القارب .. سمكة صغيرة لم ير مثلها من قبل ، يبدو أنها علقت في الشباك و لم يلحظها بسبب صغر حجمها ، تطلع إليها بفضول ، ألوانها زاهية لا مثيل لها ، تتلوى على أرضية القارب المغمورة بقليل من الماء الراكد و هي تكاد تختنق ، أسرع إلى البحر فملأ دلو من المياه و ألقاها فيه ، قال لنفسه في سخرية : بدلاً من جنية البحر تخرج لى أحد أسماك الزينة .. لن أستطيع أن آكلها و لكن ربما أبيعها لأحد تجار سمك الزينة و أحصل على بعض المال.

حمل شباكه و توجه إلى أحد التجار فباعها له بعد جدال طويل ، لم يحصل على السعر الذي يرضيه و لكنه تحصل على ما يسد جوعه ، تذكر السمكة الملونة ، عاد إلى القارب ، حملها معه و توجه بها إلى بيته ، و في طريقه أشتري طعاماً و سجائر.

وصل بيته شبه المتداعى ، حاول أن يشعل المصباح و لكنه كان قديم و متهالك حاله مثل حال كل شئ آخر في البيت ، لم يستجب المصباح لمحاولاته سوى بعد جهد بضوء خافت ، جلس و هو ناقم ، تطلع للسمكة ،

و لدهشته .. أشعة المصباح الضعيفة كانت تنعكس عليها فيغمر جسدها الضياء ، لم يرى سمكة من قبل بهذا الشكل ، دنا منها ، لاحظها وهى تتحرك بلا نظام في كل اتجاه ، عاودته آلام الجوع فأخرج الطعام وبدأ يتناوله و هو يتسلى بمراقبة السمكة بألوانها الغريبة التى لم يشاهد مثلها من قبل ، أنهى الطعام بسرعة ، كان ينوى أن يتوجه للمقهى الليلة ولكن شئ ما جذبته إلى السمكة ، ظل طوال الليل بجوارها يتطلع إليها بأعجاب و نام دون أن يدري.

أستيقظ في الصباح نشطاً ، كانت السمكة ما تزال في مكانها ، و بقايا الطعام تملأ المكان . قال لها : صباح الخير .. لا بد أنك جائعة . تتأشب ثم أرتدى ملابسه و توجه للبحر ، و هناك أستقبله مركب على وشك الخروج ، لحق به كصياد أجير ، عندما وصل المركب لعرض البحر ، رمى الصيادين الشباك ، أنتظاراً للرزق بدأ يحكى لزملائه عن السمكة التى أصطادها بالأمس . أندھش البعض فلم ير أحد مثلها من قبل ، أقترحوا عليه أن يبيعها لأحد تجار سمك الزينة لعله يجنى من ورائها بعض المال . أخرج الصيادين الشباك ، لدهشتهم كانت ممثلة على أشدها بالأسماك ، لم يتوقع الصيادين أن يكون البحر كريماً لهذا الحد ، رموا الشباك أكثر من مرة و في كل مرة خرج الصيد وفيراً . على غير العادة كان المكسب وفيراً ونصيبه كذلك

فلكل صياد على المركب نسبة من الربح ، لأول مرة يتحصل على مثل هذا المبلغ من عمله كصياد أجير ، عندما توجه للشاطئ ، اشترى طعاماً كثيراً ، تذكر السمكة الصغيرة ، جلب لها طعاماً أيضاً ، أسرع بالعودة إلى منزله ، ذهب للأطمئنان على سمكته ، كانت حركتها بطيئة ، رمى لها بالطعام و لكنها لم تأكل ، ضايقه الأمر ، دنا منها ، جلس بجوارها و تطلع إليها ، سألها فجأة و كأنها تفهمه : لما لا تأكلين ؟ هل الطعام لا يعجبك ؟ . أطلق تنهيدة قصيرة ثم أستكمل : عندما كنت صغيرا كانوا يقدمون لى أحيانا أيضاً طعاما لا أحبه .. و لكنى سأحضر لك طعاما أفضل المرة القادمة . لا يدرى كم لبث من الوقت بجوارها .. و ربما بسبب أرهاق العمل أو بسبب أشعة الشمس التي ألهمت رأسه طوال النهار .. أو بسبب وحدته التي زادت حدتها عليه مؤخراً ، أفترش الأرض أمامها وأنطلق يحكى لها عن حياته ، عن ماضيه و طفولته ، عن أحلامه التي لا تتحقق .. و عن العزلة التي فرضها الفقر عليه فتكاد تقضى عليه . كان وحيداً يشنق لمن يسمع منه .. و بدأ يشعر أنها تسمعه و تشاركه همومه ، كان يفسر كل حركة من جسمها على أنها أيماءة ، و يرى كل ألفتاته على أنها أستجابه لحديثه ، و لأول مرة ينتابه الشعور أن أحداً يشاركه همومه ، أو هكذا خيل له . لم يكن له أصدقاء يوماً أو زوجة أو أولاد .. و لم يعتاد أن يفتح قلبه لأحد .. الغريب أنه كان يسخر

من قبل عندما يتفاجئ بجارته المسنة تحدث قطنها كل صباح بعد أن هاجر كل أبناءها بحثاً عن رزق تعذر الحصول عليه في قريتهم المدممة ، لم يكن وقتها يفهم سبب سلوكها بل ويستهزأ به ، وها هو يقلدها .. شعر بالندم على سخريته السابقة منها . تكلم كثيراً وفي النهاية نام بجوار السمكة.

أستيقظ في الصباح متأخراً ، ذهب إلى الشاطئ مسرعاً ولكن لم تعد هناك مراكب ، لم يكن يستطيع الخروج بمركبه الفارغة من شباك الصيد . في النهاية قرر أن يمضى بقية اليوم في المدينة للتسكع ولشراء بعض الأغراض ، أثناء تجواله مر بأحد محلات أسماك الزينة ، دلف إلى الداخل ووصف لصاحبها السمكة الصغيرة التي أصطادها ، هز صاحب المحل رأسه في حيرة قائلاً أنه لم ير من قبل سمكة بذلك الوصف ، ربما تكون سمكة نادرة .. عرض عليه مبلغ من المال لشرائها ، وعلى الرغم من أن المبلغ كان مغرياً بالنسبة إليه ، ولكنه رفض بل وسأله عن طعام مناسب لها ، أشتري الطعام رغم سعره الغالى . في طريقه للخارج وقعت عينه على حوض صغير للسمك ، جذبه الشكل على الفور .. حوض جميل مطلق بالذهب تنعكس عليه الأضواء فتزيده جمالاً ، شعر أنه صنع خصباً من أجل سمكته ، تخيل شكل سمكته فيه لبرهه قبل أن يصطدم بثمنه المرتفع ، وقف أمامه قليلاً مبهوراً ثم عزم أن يشتريه لاحقاً عندما يتوفر له المبلغ الكافى.

عندما رجع لقريته وصلته الأخبار المؤسفة .. البحر الهائج أنتابته نوبة غضب معتادة عصفت ببعض المراكب .. على الشاطئ لمح بعض أهالى القرية يتطلعون للبحر في حالة ترقب و حزن .. هل كانت مصادفة أنه لم يخرج اليوم للصيد .. عندما عاد لبيته في المساء مرهقاً ، توجه لرؤية السمكة ، لاحظ أن حركتها بطيئة ، رمي لها الطعام و لكنها لم تأكل منه أيضاً ، خاطبها بحسرة : لما لا تأكلين .. عرض على صاحب محل اليوم مبلغ كبير حقاً كى يحصل عليك .. هل أبيعك ؟ و لكن إذا فعلت ، من يسمعنى بعد ذلك ، و من يشاركنى وحدتى مثلك .. لا .. لن أسامح نفسى إن قمت بذلك ، و لن أتركك مهما حدث .. بل سأشترى حوض السمك الذى يليق بك بمجرد أن يتوافر لدى المبلغ الكافى .. أعدك بهذا . ظل بجانبها طوال الليل يحكى لها عن يومه ، في غمرة حديثه تذكر شيئاً فأسرى لها بحماس : هل تعلمين أننى لم أدخن من يومان رغم أنى أبتعت السجائر .. كنت أدخن فقط لأنفث همومى مع الدخان .. يبدو أنى لم أعد أحتاجها لأفرغ همومى .. لم أعد أعانى من الوحدة كما كنت ..

يوماً بعد يوم كان حبه لها يزداد حتى أصبح جنوناً يخشى أن يبرأ منه ، يخاف عليها بشده ، يبقيها بجواره حين ينام حتى تكون أول شئ تقع عيناه عليه حين يستيقظ ، يقضى نهاره يعمل بكد على المراكب و بقية ليله في

المنزل معها ، كان صيده وفيراً على غير العادة و مكسبه كذلك ، أشتري
شباكاً جديدة و عاد للصيد على مركبه مجدداً ، يشتري مما يكسبه
أحتياجاته البسيطة و يدخر الباقي ليبتاع حوض السمك الذهبي كما تعهد
على نفسه .. مرت أسابيع .. و في أحد الليالي عندما عاد إلى البيت لاحظ أن
سمكته راقدة في القاع و حركتها أبطأ من ذي قبل ، أنقبض قليه ، تطلع إليها
فزعاً دون أن يدر كيف يتصرف . أعتراه خوف شل حركته ، وقف بجوارها
عاجزاً ، راقب حركتها و قد بدأت تخمد ، و ألوانها الزاهية تفقد بريقها
تدريجياً ، شعر بالفرع ، و لأول مرة من فترة طويلة ، يشعر بالخوف
يجتاحه . خاطبها في توسل : أرجوك أبقى بجانبى .. لا ترحلى .. سأبتاع
لك الحوض الذهبي .. أسرع الى الصندوق الذي يدخر فيه أمواله ، جذبه
بعنف ، كان ممثلاً إلى منتصفه تقريباً بالمال ، لم يكن يتوقع أنه أدخر كل
هذا المبلغ . قال لها : أنظري جمعت مالاً كثيراً من أجلك .. سأشتري ما
تريدين .. و لكن أبقى بجانبى . و لكن سمكته واصلت رحلة خمودها ، كاد
أن يجن ، شعر بضغفه ، وجد نفسه مدفوعاً بعيداً عنها ، ذهب للصلاة ، و
عندما أنتهى تحول إليها ، و للوهلة الأولى أدرك أنها رحلت بعيداً خارج
عالمه ، لم يكن ضوئها يملأ المكان ، راقدة في القاع بلا حركة ، أخرجها من
الماء ، ثم أعادها إليه بيد ترتعش

ظل طوال اليوم ، بلا طعام ، بلا راحة ، لا يكاد يتحرك من مكانه ، قرر أن يعود بها من حيث أتت ، أستقل قاربه و ذهب لعرض البحر ، إلى أبعد مكان يمكن أن يصل إليه ، برفق رماها في البحر فلم يشعر إلا بقليل من العزاء عندما رجع إلى بيته كان متعباً بشدة ، جلس على كرسيه بلا حركة ، تذكر أنه لم يأكل من الأمس ، نظر للمبلغ في الصندوق الخشبي ، المبلغ المخصص للحوض الذهبي ، أخرجه ببطء و أحصاه ، مبلغ كبير حقاً أدخره لم يتوقع أن يتحصل عليه يوماً ، فكر ماذا يفعل بكل هذا الكم من المال ، كان ينوى أن يشتري الحوض الذهبي لسمكته ، قال بعزم وكأنه يتخيلها أمامه : سأكون أنساناً جديداً .. لن أخذلك . في الصباح توجه للشاطئ و قد صمم على فكرة ما طالما روادت خياله مسبقاً ، اشترى مركباً أكبر من مركبه و شباكاً جديدة و طعاماً بوفرة ، أستأجر أثنان من الصيادين ، قرر أن يذهب فجأة إلى عرض البحر ، إلى أبعد نقطة ممكنة حيث لم يتجاوزها صياد ، أقنع الرجال معه بالمخاطرة ، ظل في البحر يوماً كاملاً ، كان يصطاد بلا كلل ، و عندما عاد كان المركب ممتلئاً على غير العادة ، غامر و ربح فالسمك أوفر في عرض البحر كما توقع تماماً ، ظل هكذا أكثر من عام ، كان بعض الصيادين يرون أنه مجنون ليخاطر بحياته في عرض البحر الممتد كصفحة بلا حدود ، لم يعتاد أحد الذهاب إلى هناك من قبل ، يخافون من غدر المياه ، والده خاطر

وذهب إلى هناك من قبل و لكن البحر رمى به جثة هامة ، قالوا عنه أنه
مجنون مثل والده و لكنهم في الواقع كانوا معجيين به ، كان رزقه كبيراً على
غير المألوف ، و عندما يعود يلزم بيته ، ينام ساعات قليلة ثم ينطلق في
الصباح مرة أخرى.

أستيقظ يوماً فقرر أن يغامر بفكرة جديدة ، ذهب إلى المدينة و أستأجر
سيارة كبيرة ، قرر أن ينقل بها السمك إلى المدن البعيدة عن الشاطئ حيث لا
يوجد السمك بوفرة ، كانت فكرته جيدة فربح الكثير من ورائها . بعد عدة
سنوات كان قد ذاع صيته ، تزوج و قرر أن يبدأ مشروعاً آخر ، شارك أثنان
من تجار القرية الأثرياء و قام بآفتتاح مطعم للأسماك في المدينة .. أستعان
بعدد من النساء الأرامل في قريته ممن أبتلع البحر منهم في نوبات غضبه
المعتادة رجالهم فسدت أمامهم كل منافذ الرزق .. من أفضل من زوجة صياد
لطهى الأسماك على أى حال .. خسر في الشهور الأولى حتى فكر في التخلي
عن فكرته و لكن سرعان ما تحولت خسارته إلى مكسب بعد أن بدأت جودة ما
يقدمه تلفت الأنظار و تفرض نفسها في السوق .. بعد خمس سنوات كاملة
أفتتح الفرع الثاني له .. ثم الثالث بعد عامان ، و أشتري سيارة جديدة لنقل
الأسماك بدلاً من سيارته القديمة المتهالكة .. توقف عن الصيد و تفرغ لأعماله
التي تتسع يوماً عن يوماً لتلتهم معظم وقته . سنوات كثيرة تواترت عليه و

هو يعمل بلا توقف حتى أضحى أسمه في كل مكان ، و كبرت ثروته . أنشأ نقابة للصيادين لتعينهم على الحياة ، بيته الكبير بناه وسط القرية ، قرية الصيادين الذين أحبههم و أحبوه ، أنجب العديد من الأبناء و بدأ الشيب يغزو شعره . وهنت عظامه و غزا المرض جسده ببطء فبدأ يستسلم له .. ذات يوم جذبته الحنين للبحر الواسع ، وقف على الشاطئ يتطلع للمياه ، يسترجع ذكرياته كلها ، تذكر السمكة الصغيرة التي منحها البحر الغامض له عندما كان يحلم بجنية البحر كي تحقق كل أمنائه ، لم ينسى أن المبلغ الذي أدخره ليشتري لها حوضاً ذهبياً هو الذي بدأ به حياته ، ها هو قد حقق كل أمنياته حتى لم يعد في جعبته المزيد من الأحلام ليسعى وراءها .. أبتسم بلا وعى .. عندما حكى قصته لأحد أبنائه أخبره أنها ربما تكون جنية البحر .. هز رأسه بقوة .. هل كانت جنية دفعته لتحقيق أحلامه بنفسه ؟ أم تراها أوهام ترسخت في خياله بفعل سطوة أساطير قديمة لم يعد يقبلها العقل ؟ تطلع مرة أخرى للبحر الغامض الممتد أمامه بلا حدود حائراً دون أن يجد أجابة

هادى

عندما قابلت هادى لم يكن راضياً عن حياته .. فوالده ما زال يصرف عليه رغم تخرجه من سنوات طويلة .. بل أنه هو من تكفل بمصاريف زواجه .. و رغم أنه يعمل ليلاً و نهاراً إلا أن راتبه لا يكاد يكفى احتياجاته الشخصية .. و لهذا سافر هادى للخارج .. و لكنه أخفى عن عائلته أنه يعمل كحارس أمن و هادى ينحدر من أسرة ثرية .. أبوه هو عمدة القرية التي ولد بها .. و هو المنصب الذي لم يخرج عن عائلته و توارثته من فترة طويلة .. و معظم أراض القرية الخصبة تعود ملكيتها لعائلته الكبيرة .. لهذا كان من العار بالنسبة إليهم أن يسافر أحد أبنائهم للخارج لكى يعمل حارس أمن

و لم يكن هادى يبحث عن المال عندما فكر في السفر بقدر ما كان يبحث عن فرصة للاستقلال عن عائلته ، و أثبات قدرته على النجاح بعيداً عنهم .. فهادى منذ تخرج من كلية التجارة من فترة طويلة حيث نشأت قصة حب بينه و بين زميله له في الكلية لسنوات ، حاول أن يبحث عن عمل كمحاسب ولكنه لم يوفق .. حتى عندما وجد عملاً في شركة كبرى في المدينة لم يكن

راتبه يكفى احتياجاته الشخصية .. فهادى شديد الأهتمام والعناية بمظهره بحكم أنتمائهم لعائلة ثرية .. و لولا مصروفه الذي ما زال يتلقاه من والده ما تمكن من الأنفاق على نفسه .. و مرت ثلاثة أعوام كاملة .. و فتاته ما زالت تنتظره .. و هادى ما زال يحاول أن يثبت نفسه بلا فائدة .. و بدأ صبرها ينفذ .. و طموحه يقل .. و لم يحقق شيئاً مما كان يحلم به .. أضطر أن يرجع إلى قريته محبطاً ليعمل في حسابات والده .. الامر الذي أسعد الأب و كان يتمناه من فترة .. و طلب هادى بخرج من والده أن يساعده في مصاريف زواجه .. و لم يمانع الأب .. و تم الزواج سريعاً .. و أنجب بنتاً جميلة .. و مرت أربع أعوام أخرى .. و بدأ هادى يتبرم من القرية و من العمل .. كره أن يعيش دوماً في ظل أبيه .. ليست تلك أحلام العمل التي طالما راودت خياله و كان يطمح إليها .. و بدأ يضيق بحياته .. و مما زاد قسوة هذا الشعور بداخله أنه ما زال يحصل على مصروف من والده بعد أن زادت نفقات معيشته بقدم أبنته .. و رغم ذلك لم يحاول أن يتوقف عن ارتداء أغلى الملابس و الظهور بأفضل صورة .. فقد اعتاد أن يكون مثال لشباب القرية في الأناقة و محط أعجاب الناس في قريته .. و ربما كان ذلك هو النجاح الوحيد الذي حققه في حياته و لهذا ظل يحافظ عليه

و قرر هادى أن يبحث عن فرصة سفر .. لا يدري كيف راودته الفكرة ..

ربما لأنه رأى الكثير من شباب القرية المعدم يسافر ثم يعود بعد سنوات قليلة و قد طرق الثراء أبوابهم .. فيقتنون أراض و يقيمون مشاريع .. و ربما لأنه أراد أن يثبت للجميع أن باستطاعته النجاح بعيداً عن أهله .. و بحث هادى كثيراً و طال بحثه .. و شعر باليأس أن يجد عملاً يناسبه خاصة أنه لا يمتلك رصيد كاف من الخبرة يتيح له إيجاد أى عقد عمل مناسب .. و في زيارة له لصديق عاد للتو من الخارج ، حكى له صديقه كيف سافر في البداية كعامل بسيط في شركة صغيرة ، و تحمل لسنوات قليلة قبل أن ينجح في العثور على فرصة العمل التي يحلم بها .. و أعجب هادى بفكرة صديقه ، و أستولت على تفكيره .. فكر أن يسافر في البداية على أى عمل مهما كان بسيطاً .. ثم يبدأ في البحث بعدها عن فرص عمل أفضل له هناك بعد أن يستقر و يلم بأحوال البلد .. قرأ بعدها بأيام عن وظيفة لحراس أمن في أحد الدول الخليجية .. تقدم لها بتردد دون أن يخبر أحداً .. و تمت الموافقة عليه سريعاً .. أعد نفسه للسفر وسط طموحه بأن تكون تلك الفرصة أول خطوة على الطريق الصحيح .. و سافر وسط وداع حار من أهله بعد أن أوهم الجميع أنه حصل على عقد عمل كمحاسب في أحد الشركات الصغرى هناك و في الغربة تبخرت أحلامه سريعاً .. وجد نفسه تحت رحمة كفيل لا يرحم .. و ساعات العمل الطويلة التي تصل إلى اثنتى عشر ساعة يومياً أرهقته

و لم تتح له الفرصة للبحث عن عمل آخر .. زاد من همومه متاعب السكن حيث يقيم هو و سبعة من زملائه في غرفة واحدة ضيقة في منطقة شبه نائية .. فضلاً عن الوقوف على قدميه لساعات طويلة يقاسى الحر و أشعة الشمس .. و تحمل هادى ظروفًا لم يعتادها من قبل .. و رغم حياته المترفة من قبل لم يستسلم للظروف الصعبة التي يواجهها و صمم أن لا يفشل سريعاً .. لن ترحمه أعين الناس عندما يعود خائباً .. و لن يغفر لنفسه أن يظل فاشلاً يعيش على أحسان أبيه .. و تنقل هادى بين عدة مواقع لا يكاد يستقر في أى منها .. مرت شهور و بدأ جسمه يهزل .. و صبره يقل .. و بدأ يفكر جدياً في العودة .. قبل أن يستقر به المطاف للعمل كحارس في فندق كبير .. وهناك رأى عالماً لم يكن يحلم برؤيته .. و سحره عالم الفندق الفخم .. و أبتسمت له الدنيا قليلاً بعد أن وجد أن ظروف العمل في الفندق أفضل من غيرها من الأماكن الأخرى التي عمل بها .. تحسنت حالته و بدأ يستعيد عافيته تدريجياً .. كسب ثقة الجميع بعد أن لاحظوا إخلاصه و تفانيه في العمل .. ترقى سريعاً و حصل على امتيازات عدة .. وأتيحت له الفرصة لتكوين علاقات مع كثير من العاملين بداخل الفندق .. كان أحدهم محاسباً مصرياً توطدت أواصر الصداقة بينهما بسرعة .. و عندما حكى له هادى عن ظروفه وعده أن يساعده .. نصحه فقط بالصبر قليلاً حتى تنتهى

مدة كفالتة .. و أكد له أن فرص العمل متوافرة .. و برواتب كبيرة لا يحلم بها

و شجع هذا الكلام هادى و أحيا فيه الأمل .. و بدأ يحلم مرة أخرى بالنجاح .. و رسم أحلاماً عريضة .. كان قد مر عليه سنة و بضعة أشهر .. عليه الأنتظار سنة أخرى حتى يحقق أحلامه .. و لن يكون ذلك صعباً عليه بعد أن أعتاد الغربة .. كما أنه بدأ يحقق بعض النجاح و لا يريد التخلي عنه .. نال ثقة مديره حتى أنه أنتقل للعمل داخل الفندق بدلاً من الوقوف على الباب الخارجى حيث المعاناة من حرارة الشمس و الرطوبة الخانقة .. و بدأ راتبه الهزيل يزداد تدريجياً .. و تخلص من مصاريفه الشخصية .. حيث لا يحتاج للتباهى بمظهره هنا فهو لا يرتدى في العمل سوى الزى المفروض عليه .. و بدأ يرسل معظم راتبه لزوجته .. و لأول مرة لم يعد يطلب من أبيه مصروفاً لينفق على أسرته الصغيرة .. صحيح أنه كان يشترق لرؤية أبنته الحبيبة و زوجته .. و لكن صمم أن لا يعود حتى يتسنى بناء مستقبل أفضل لهما .. كما أنه يحدثهما بشكل مستمر .. و يمكنه الحصول على أجازة بعد بضعة أشهر للعودة للوطن و رؤية أسرته ..

و أستمر هادى في محادثة أسرته كل فترة للأطمئنان عليهم .. و كان يحدث بعض أصدقائه المقربين أحياناً على مواقع التواصل الاجتماعى التي

كان شغوفاً بها .. كان يوهم الجميع أنه يعمل كمحاسب في شركة محترمة رغم ضعف الراتب من أجل أكتساب بعض الخبرة تفيدته لاحقاً .. وأنه أنتقل للعمل الآن في فندق كبير بنفس الوظيفة .. و لم يشك أحد في كلامه.

و بدأ هادى يعيش عمله داخل الفندق ، و ساعات تواجد فيه .. فالفندق الذي يعمل به من الفنادق المعروفة التي يقصدها كبار الشخصيات .. و هادى نفسه قابل الكثير منهم أثناء عمله .. مطربين مشهورين و ممثلين و رجال سياسة معروفين .. و لكن لم يحاول هادى الاحتكاك بأحد منهم طبقاً لسياسة الفندق .. و أنتشرت الأخبار يوماً ما عن إقامة بطولة عالمية لكرة القدم داخل الدولة التي يعمل بها .. و أن أكثر فرق العالم شهرة ستأتى للمشاركة في تلك البطولة .. و لأن هادى يحب كرة القدم بجنون .. تمنى فقط لو بإمكانه حضور أحد تلك المباريات و رؤية نجومه المفضلين

و توجه هادى يوماً للعمل ليتفاجئ باستعدادات ضخمة تجرى في الفندق على غير المألوف .. و عندما سأل عن السبب أبلغوه أن الفندق تم اختياره ليستضيف بعض فرق البطولة .. نظراً لشهرته من ناحية ، و لقربه من ملاعب التدريب من ناحية أخرى .. و لعدة أيام ظلت الاستعدادات في الفندق تجرى على قدم و ساق .. و الكل في حالة تأهب لأستقبال الحدث الهام

كانت مفاجأة سارة لهادى عندما علم أن فريقه المفضل — برشلونة — من

الفرق التي يستضيفها الفندق .. كاد أن يطير من الفرحة .. لم يكن يتمنى من أيام قليلة سوى حضور أحد مباريات الفريق العالمى لرؤية لاعبيه المفضلين من الملعب .. و لكن الآن يمكنه رؤيتهم يومياً عن قرب .. بل وربما تتاح له الفرصة للالتقاء بهم و التحدث معهم وجهاً لوجه .. و لم يعد ينام .. أصبح يعد اللحظات لقدوم الفريق .. خاصة و أن ذلك الساحر الصغير لاعبه المفضل - نجمه الأثير الذي يتابعه دائماً - سوف يكون متواجداً مع الفريق

وصل الفريق قبل الدورة بأيام قليلة .. و بدأ الفندق اتخاذ إجراءات حازمة غير معتادة .. فالفندق أضحى مقصد العديد من الصحفيين و المعجبين ممن حاولوا بكل الطرق اختراق الحصار و مقابلة اللاعبين .. و تم تغيير مكان هادى ليتولى الحراسة من خارج الفندق .. و أغضب هذا هادى .. فلم يعد يستطيع مقابلة أى لاعب .. خاصة و أن كل تحركاتهم تتم بحساب .. و تحت رقابة شديدة لم ينجح في اختراقها

و مضى يومان .. ثم قارب أسبوع على الانتهاء .. و هادى يتحين الفرصة المناسبة دون جدوى .. فهو لا يرى الفريق إلا عند مغادرته أو عودته للفندق .. و تابع مباريات البطولة من خلال التلفاز .. و رأى تألق لاعبه المفضل في أولى مباريات البطولة .. و زاده هذا تلهفاً على مقابلته .. و لكن كل محاولاته باءت بالفشل .. و كاد اليأس يتسرب إليه مع توالى المباريات و

أقتراب البطولة من نهايتها .. ولكن كان للمصادفة دور آخر

استدعاه مديره إلى مكتبه يوماً فهرع إليه .. كان هادى في طريقه للمصعد عندما رآه .. نجمه المفضل .. يتبادل الحديث مع بعض نزلاء الفندق و يلتقط عدد من الصور معهم .. لم يصدق هادى عيناه .. وجد نفسه يندفع إليه بلا تردد .. لم يعد يهمه قوانين الفندق .. نسى أو تناسى كل واجباته .. أسرع إليه غير مبال بشئ .. طفق يسلم عليه بحرارة بينما أبتسم اللاعب بأرتباك و هو يرى أندفاع ذلك المعجب المتحمس نحوه .. كانت كل ملامح الفرحة و الحماس ترتسم على وجهه .. و بسرعة و قبل أن يراه أحد من رؤسائه .. أخرج هاتفه النقال و طلب من النجم ألتقاط صورة معه .. لم يكن هادى يتقن لغته فأستخدم يديه للأشارة .. و فهم اللاعب .. وقف هادى بجانبه يبتسم بعدما طلب من أحد العابرين ألتقاط صورة لهما .. وعندما لمع فلاش الكاميرا .. كان هادى يبتسم بفخر و هو في قمة سعادته .. صافح النجم بعدها بفرح و أنصرف بسرعة

لم يتمالك هادى نفسه .. لم ينتظر العودة لمنزله .. تملكه الحماس بشدة و بدون تفكير أستخدم هاتفه ليضع الصورة لتتصدر حسابه الشخصى على الفيسبوك حتى يراها كل أصدقائه .. لن يصدقوا أن أبن قريتهم يقابل نجوم العالم و يلتقط الصور معهم .. و لأول مرة يشعر في حياته بالفخر .. و أنتظر

بشغف رد فعل أصدقائه على الصورة

و أحدثت الصورة أثرها بالفعل .. و بسرعة أنتقلت بين شباب القرية .. كانت العيون تطالعها بذهول .. ولم يعد هناك حديث في القرية سوى عن صورة هادى ابن قريتهم الأنيق مع اللاعب المعروف .. كان هادى يقف فعلاً بجانب أسطورة كرة القدم واضعاً يده على كتفه .. و لم يكن هناك شك أنه هو النجم العالمى .. و لكن لم يكن ذلك هو الشئ الوحيد في الصورة الذي لفت الانتباه .. كان ما جذب انتباههم حقاً و بشدة هو صورة هادى نفسه .. ابن العمدة .. يرتدى زي أزرق مميز مكتوب عليه بخط واضح – حارس أمن – باللغتين العربية و الأنجليزية .. تحت شعار شركة الأمن و أسمها .. و هو يتطلع للكاميرا و على شفثيه ترتسم ابتسامة ثقة رائعة